أخلاقُنا السياسِيَّة

السيد صدرالدين القبانجي

الطبعة الثانية

٢٠٠٨م ــ ١٤٢٩هــ

هوية الكتاب

اسم الكتاب: أخلاقنا السياسية

المؤلف: السيد صدرالدين القبانجي

اصدار: جامعة الامام المهدي (ع) النموذجية للدراسات الدينية/ النجف الاشرف

الطبعة: الثانية / ٢٠٠٨م ــ ١٤٢٩هـ

الكمية : ١٠٠٠ نسخة

المطبعة: دار الضياء للطباعة والتصميم – النجف الأشرف ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

لا يخفى عليك عزيز القارئ الكريم الدور الذي اضطلعت به السياسة في العالم ومدى تأثيرها في تغيير الخارطة السياسية والجغرافية حتى ان البلدان التي تخلو من السياسيين تخلو من الاستقرار الامني والاقتصادي.

والسياسيون على نحوين، نحو سياسي لنفسه وآخر سياسي لعقيدته ووطنه وشعبه، ولا يخفى ان الاول ليس هو السياسي كما يريده الاسلام.

الاسلام يريد من السياسي ان يعطي الاولوية القصوى لمصالح شعبه ورسالته ثم بعد ذلك يفكر في مصالح نفسه وحزبه.

فما احوج مجتمعاتنا الاسلامية الى هذا النموذج ممّن جعلوا قضيتهم نصب اعينهم وتوكلوا على الله وبذلوا من اجله كل غال ونفيس.

عزيزي القارئ الكريم هذا الكتاب الذي بين يديك هو من مؤلفات احد رجال الفكر والحوزة العلمية والذي تحمل مسؤوليته في الشأن السياسي وانطلاقا من مقولة الامام علي (ع): (اما والله لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما فرض الله على العلماء ان لا يقوّد على كضة

ظالم ولا شعب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها)[1]، فقد كان العلامة المجاهد السيد صدرالدين القبانجي (دامت بركاته) قد حمل لواء التصدي لنظام العفالقة وتحرير الشعب العراقي وولاته على الطريق السياسي الديني الصحيح ومازال اليوم يواصل حركته في هذا الطريق.

ولا اظن ان مؤلف هذا الكتاب يخفى على احد وكيف يخفى من خبرته سوح الوغى ومنابر الجهاد ومدارس العلم.

هذا الكتاب كان قد صدرت طبعته الاولى بتاريخ (شعبان / ١٤٢١) وبالنظر لحاجة الساحة اليه ولعدم وجود الكتب المختصة في هذا المجال فقد قامت جامعة الامام المهدي ــ ع ــ النمنوذجية للدراسات الدينية بتحقيقه واعادة طبعه.

ولا يفوتني ان اقدم شكري وامتناني الى قسم الاعلام في الجامعة حيث قام مشكورا بطباعة هذا الكتاب واخراجه بحلة جميلة زادته رونقة الى رونقة مضمونة ومحتواه.

مجلس الجامعة

---

[1]) نهج البلاغة ، ج ١ ، ص ٣٦

التمهيد

الإسلام والأخلاق السياسية

الحديث عن (أخلاقنا السياسيّة) هو حديث عن أخلاق العمل الإسلامي.

يجب أن نعرف أنّ الإسلام الذي وضع حدوداً ورسم أخلاقاً لمختلف مجالات الحياة الفرديّة والاجتماعية لا يمكن أن يترك مجال العمل الإسلامي فارغاً من آداب وضوابط وحدود.

الإسلام الذي هو في عصارته (منهج أخلاقي للإنسان) ونبي الإسلام (ص) الذي قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) كيف يترك أهم مفصل حيوي في حياة الإنسان المسلم الاجتماعية خالياً من التزكية والتطهير، ذلك أنّ العمل لنصرة الدين وهداية المجتمع واحقاق الحقّ ـ وهو ما نصطلح عليه بالعمل الإسلامي ـ هو أهمّ مفصل في حياة الفرد والمجتمع المسلم.

لقد وضع الإسلام آداباً للتجارة، وآداباً للتعلّم، وآداباً للأكل والشرب، وآداباً للأسرة، وآداباً للسفر، وآداباً للحضر، وغير ذلك من مفاصل الحياة الإنسان ولقد كتب علماء الإسلام في

كلّ هــذه المجــالات وشــرحوا مــا هــي الأخــلاق الإســلامية فيهــا، فهــل كــان العمــل الإســلامي منطقــة فــراغ متروكــة لأذواق العــاملين وأمــزجتهم او نظريّــاتهم أم انهــا منطقــة ملأهــا الإســلام ووضع لها آداباً وأخلاقاً خاصة؟

هذا هو ما نعتقده.

الكتابة في هذا المجال

وقد يقول قائل إذن لماذا لم يكتب علماء الإسلام في هذا المجال؟

الحقيقة أنهم لم يغفلوا عن الكتابة في هـذا المجـال، ولكـنهم تنـاولوا هذا الموضوع تحت عنـاوين اخـرى مثـل أبـواب الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر، وآداب الموعظة والنـصيحة، وأحكـام التعامـل مـع سلاطين الجور وأحكام العشرة وغيـر ذلـك مـن العنـاوين والابـواب، حيث لم يكـن عنـوان(العمـل الإسـلامي والـسياسي) عنوانـاً مألوفـا، وحيث كانت أبواب العمل السياسي موصـدة علـى المـؤمنين، والحـديث عنها او البحث فيها يدخل في لائحة الممنوعات.

أمّا ونحن نعيش اليوم ساحات العمل الإسـلامي وهـي مفتوحـة أمـام العاملين، كان علينـا أن نبحـث بعمـق وسـعة قـضية أخـلاق العمـل الإسلامي وهو ما نصطلح عليه بـ(أخلاقنا السياسيّة).

جزء من الدين

إنّ هناك انطباعاً عامّـا لـدى وسـط كبيـر مـن النـاس يحـسب أنّ القضايا الأخلاقية هي قضايا ثانوية لا تحتل موقعـاً مهمّـاً واساسـياً فـي مستقبل حركة الإنـسان، ولا تتـدخّل كثيـراً فـي نجاحاتـه وإخفاقاتـه، وليست هي من الأولويات التي يجب الحرص عليها في العمل.

وربما لا يكترث بعض العاملين للإسلام بالمسألة الأخلاقية بمقدار ما يكترث بالجوانب المادية، او التخطيطية في العمل.

ولكن الحقيقة هي تماماً على خلاف ذلك.

فأخلاقنا في العمل الإسلامي هي جزء من الدين، وهي إنعكاس لعناوين الحلال والحرام والواجب والمستحب والمكروه وتطبيقات لها، فبمقدار ما تكون المسألة الدينية عندنا مهمة يجب ان تكون المسألة الأخلاقية كذلك لأنها ليست شيئا آخر وإنما هي تصوير آخر لتلك المسألة الدينية.

وعلى ذلك فنحن حينما نتحدث عن (أخلاقنا السياسية) إنما نتحدث عن منهج الدين في مجال العمل السياسي.

كما أن هذه المسألة في ضوء الفكر الديني تحتل موقعا مهما جدا في مستقبل ونتائج حركة الإنسان ومدى نجاحه واخفاقه.

الإسلام ربط قضية التوفيق والنصر والتسديد الألهي بالمسألة الأخلاقية، ومدى تطابق الفرد المسلم والمجتمع المسلم مع القيم الإسلامية في العمل والسلوك.

جزء من الأخلاق العامة

ويجب أن يكون معلوما ان اخلاق العمل السياسي في الإسلام ليست هي شيء آخر، ومن دائرة أخرى غير دائرة الأخلاق الإسلامية العامة، وانما هي جزء من تلك الدائرة ومترابطة معها.

فالصدق، والصبر، والتوكل، وحسن الظن، والتواضع، والتودد.. هي جميعا مفردات عامة في الأخلاق الإسلامية، وليست الأخلاق السياسية هي أمور أخرى غير هذه المفردات او متضادة معها.

إذن لماذا نتحدث عن (أخلاقنا السياسية)؟

والجواب:

اولا: ان ميدان العمل السياسي قد يختص ويستأثر ببعض المفردات الأخلاقية دون بعضها من حيث طبيعة ذلك العمل.

فقضية بر الوالدين، وصلة الرحم، والعلاقة مع الأولاد والزوجة، او قضية الصدقة، واطعام الفقراء، او قضية آداب الجوار، وآداب التكسب وما ماثلها هي قضايا قد تبدو بعيدة عن حقل العمل السياسي بخلاف قضية التقية وحدودها، وقضية شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما ماثلها فانها تبدو مترابطة تماما مع العمل السياسي وجزءاً منه.

ثانيا: كما أننا في مجال(اخلاقنا السياسية) لا يمكن ان ننفصل او نبتعد عن الأخلاق الإسلامية العامة كالصبر، والصدق و... كما اشرنا اليه، الا اننا نحاول ان نأخذ منها ما ينعكس على مجال العمل السياسي.

فكيف يكون الصدق في العمل السياسي؟

وكيف يكون الصبر في العمل السياسي..؟ وهكذا..

ومن هنا كان البحث عن (اخلاقنا السياسية) بحثا عن كل المفردات الخاصة من ناحية وبحثاً عن المفردات العامة لكن في حدود تطبيقاتها في ميدان العمل السياسي.

الترابط مع العقيدة

ومن المهم ان نعرف ــ في المقدمة ــ أن أخلاق العمل الإسلامي تنطلق وتتأثر بالنظرية السياسية في الاسلام، وكما هو الأمر في سائر المجالات، فالأخلاق الإسلامية في الاسرة مثلا تنطلق من نظرية الإسلام في الأسرة، والأخلاق الإسلامية في التكسب والتجارة تنطلق من نظرية الإسلام في التكسب والتجارة وهكذا باقي المجالات.

وعلى ذلك نعرف ان اخلاقنا السياسية تنطلق من عقيدتنا

السياسية.

فالاسـلام لـه عقيـدة سياسـية فـي الامـة، والامـام، والعلمـاء، والاحزاب، والحركات، وغيرها مـن مفـردات الواقـع الـسياسي، وفـي ضوء تلك العقيدة وضع آدابا خاصة للتحـرك فـي تلـك المجـالات كمـا سنلاحظ ذلك تفصيلا.

اخلاقنا السياسية مبادىء ثابتة

وقد يحسب بعض الناس أن الحديث لمّـا كـان عـن أخـلاق سياسـية فهـي اذن اخـلاق متحركـة نفعيّـة تتبـع المـصالح وتتـاثر بـالربح والخسارة وليست قيما مبدئية ثابتة.

ولكن الصحيح هو ان الأخـلاق الـسياسية فـي الإسـلام تعبّـر عـن مبادئ ثابتة وتنطلق من قـيم معنويـة مقدسـة بعيـدة عـن المـصلحية والانتهازية، نعم هي تختلف من حالة الى حالـة علـى أسـاس اخـتلاف الموضوع كما يعبّرون.

وكمثل على ذلك حينما يكون المـؤمن شـديداً فـي موضـع ورحيمـا في موضـع آخـر فـان ذلـك يجـب ان يخـضع لطبيعـة الموضـوع الخارجي، حيث ان الاسلام وضع خطين اخلاقيـين همـا **[أَشِـدَّاء عَلَـى**

الْكُفَّارِ] و **[رُحَمَاء بَيْنَهُمْ]**[1] فالتغير في الممارسة الأخلاقية من حالة الى حالة لاعتبار التغير في موضوع تلك الممارسة الاخلاقية.

وهكذا مثلا يقول الإسلام: **(وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]**[2] ويقول: **(وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)**[3] فنحن في الحالة الأولى مأمورون بالبحث والمجادلة العلمية بينما في الحالة الثانية مأمورن بالإعراض، لماذا؟

لأنّ الموضوع اختلف، حيث نواجه في الحالة الأولى أناساً لهم منطق ويمكن أن يتفهموا المناقشة، بينما نواجه في الحالة الثانية اناسا جهلة لا منطق لهم ولا ينفع معهم النقاش.

وهكذا تكون المسألة تابعة لاختلاف موضوعات التحرك فيها وليست تعبيراً عن مصلحية بعيدة عن القيم والأهداف كما هو في اخلاق الانتهازيين المصحليين.

---

[1]) انظر قوله تعالى: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)، سورة الفتح: ٢٩.

[2]) سورة النحل: ١٢٥.

[3]) سورة الاعراف: ١٩٩.

أخلاق لكل العاملين

كما ان أخلاقنا السياسية تتحرك في كــل مــساحات العمــل الإســلامي والإعلامــي والثقــافي والجهــادي والتنظيمــي والإنــساني والتبليغــي وغيرها، فهي لا تختص بجماعة دون جماعــة، فالحــديث اذن حــديث عن أخلاق العــاملين للإســلام فــي كــل مجــالات حــركتهم، وهنــاك مسؤولية عامة في ان نتحرك جميعاً وفــق مــوازين الأخــلاق الإســلامية في العمل.

الموضوع الأول

الإنتـماء للّه تعالى

الإنتماء لله تعالى يمثل الخط العام في سلوكنا الأخلاقي، ويمثل الأصل الذي نعتمده في تقييم كل مفردة أخلاقية في حركتنا.

لمن ننتمي؟

هذا هو السؤال الأول الذي يواجه المؤمن في حركته الرسالية، هل ننتمي الى قومية معينة، جماعة سياسية، طائفة مذهبية، مؤسسة اجتماعية، دولة اقليمية، وقد تكون كل هذه الانتماءات موجودة فنحن ابناء ارض معينة، وقومية خاصة، وجماعة سياسية محددة، وطائفة مذهبية معلومة، ومؤسسة وظيفية.. الى غير ذلك.

لكن هذه الانتماءات هل تمثل الاصل في اتجاه حركتنا، وتحدد المقياس في خط مسارنا ام هناك انتماء اعمق واقوى من كل هذه الانتماءات؟ وهذا هو ما يشخص هويتنا.

اذا كانت القومية هي الاصل فنحن قوميون.

واذا كانت الجماعة السياسية فنحن حزبيون.

واذا كان المذهب فنحن طائفيون.

واذا كانت الوظيفة فنحن وظيفيون.

واذا كان (دين الله) فنحن مؤمنون مسلمون مهما كانت انتماءاتنا الاخرى.

الانتماء ماذا يعني؟

أربعة امور هي التي تحدد انتمائي وتشخص هويتي:

الولاء، والاهداف، والطاعة ، والحدود.

طبعا ليس الحديث هنا عن الانتماء التكويني والجغرافي والوظيفي فقد انتمي في اصل تكويني الى اسرة أو قومية او ارض جغرافية، او دائرة وظيفية معينة لكن ذلك لا يحدد بمجرد انتمائي المذهبي ولا يشخص هويتي السياسية ما لم ينعكس على الامور الاربعة المشار اليها اعلاه.

ولائي مع من؟

اهدافي ما هي؟

طاعتي لمن؟

ما الذي يحدد حركتي ومواقفي؟

نحن ننتمي الى الله

لقد حدد القرآن الكريم حقيقة انتمائنا، ورسم اتجاه حركتنا،

ووضع الخط العام لسلوكنا.

نحن ننتمي الى الله تعالى في ولائنا، واهدافنا، وطاعتنا، وحدود حركتنا.

فالقرب من الله، وتحقيق حكم الله، والتزام حدود الله، وطاعة اولياء الله، هي التي تحدد مسار حركتنا، وتمثل الاصل الذي نؤسس في ضوئه مواقفنا، وما سوى ذلك فهي أمور فرعية.

على مستوى الولاء:

الولاء المطلق لله تعالى، قال الله تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّه)** [1]

وقال رسول الله (ص) : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله احبّ اليه مما سواهما)[2].

على مستوى الاهداف:

حيث الهدف هو وجه الله ورضوانه، قال الله تعالى: **[وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى**

---

[1]) سورة البقرة: ١٦٥.

[2]) الاخلاق ـ السيد عبد الله الشبر.

* **إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى]** [1].

وقال تعالى: **(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)** [2].

على مستوى الالتزامات والحدود:

الحدود هي حدود الشريعة الالهية، قال الله تعالى: **(وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ)** [3]، وقال تعالى: **(الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)** [4].

على مستوى الطاعة والانقياد:

الطاعة لله وحدُه ومَن أمرَ اللهُ بطاعته، قال الله تعالى: **(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** [5]، وقال تعالى في وصف اليهود والنصارى: **(اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ)** [6].

---

[1]) سورة الليل: ١٧ـ ٢٠.
[2]) سورة الكهف : ٢٨.
[3]) سورة الطلاق: ١.
[4]) سورة التوبة: ١١٢.
[5]) سورة النور: ٥١.
[6]) سورة التوبة: ٣١.

حيث يقول إمامنا الصادق(ع) في تفسير ذلك: (والله ما صاموا لهم ولا صلوا لهم ولكن احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فاتّبعوهم)[1].

ما هو اسمنا؟

يبدوا أن القرآن الكريم أعطى لقضية الاسم اهمية خاصة، ذلك لأن الاسم يعبر عن الهوية، ويشرح ابعاد الشخصية، ونحن قد يكون لعملنا، وجماعتنا، وخطنا اسماء عديدة ولكن ما هو الاسم الذي يشرح هويتنا بالكامل؟ وما هو الاسم الذي يجب ان تنتهي اليه كل اسمائنا الأخرى؟ قد أكون عربيّاً، وحزبيّاً، وسياسيّاَ، ومذهبيّاً، وغير ذلك لكن كلّ هذه الأسماء يجب أن لا تكون قبل الاسم الذي يرمز إلى مكونات شخصيتي، وطريقة حركتي.

فنحن (مسلمون) و(مؤمنون) و(أنصار الله) و(حزب الله) و(عباد الرحمن) و(عباد الله) كما جاء القرآن الكريم مؤكداً ذلك.

ونحن شيعة (أهل البيت(ع)) و(أتباع الولاية) و(أنصار الولاية).

وخطّنا هو (خطّ الولاية) و(خطّ العلماء) و(خطّ المرجعية الدينية) وكل هذه تسميات صحيحة لأنها جميعا تعبر عن هويتنا، وتحدد أخلاقية حركتنا، ومنهج عملنا.

---

[1]) اصول الكافي ، ج ١، باب التقليد.

ويمكن أن نطلق على انفسنا اسماء اخرى، وربما كانت كلها صحيحة ولكن المهم هو ان لا تتحول الاسماء عندنا الى مقدسات مطلقة، ويجب ان لا تحجزنا اسماؤنا أو انتماءاتنا الفرعيّة عن الآخرين الذي يشتركون معنا في المبدأ والهدف والقضيّة، ولا تولّد عندنا حالة من الغرور والانفصاليّة، فالإسم العام لنا جميعاً (أنّنا مسلمون).

قال تعالى: **(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** [1] .

والأخلاقية العامة التي تمثّل منهجنا في التحرّك هي أخلاقية المؤمنين، قال تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)** [2] .

---

[1]) سورة فصلت : ٣٣.
[2]) سورة الانفال : ٢.

الموضوع الثاني

الالتزام بالاحكام الاسلامية

الموقف بشكل عام

إنّ من أهمّ الخصائص الأخلاقية للعاملين في (خطّ الولاية الشرعية) ومنهج حزب الله هو الالتزام بالآداب الإسلامية والحدود الشرعية العامّة أثناء ممارسة عملهم السياسي، ذلك أنّ العامل للإسلام وباتجاه اهدافه المحددة قد يندفع نحو تحقيق تلك الأهداف ويغفل او يهمل ما هي الحدود الشرعية الموضوعة له في العمل وما هي الآداب الإسلامية المرسومة له في الطريق نحو تلك الأهداف.

إنّ العامل للإسلام قد يجذبه شوق العمل، ويدفعه عشق الهدف الى تجاوز الحدود الشرعية والأخلاق الإسلامية، ويؤثر هواه الشخصي في تحقيق بعض المصالح الدينية على حدود الله بحسبان أنّ الأهداف هي الأهم، وأنّ المصلحة الدينية يجب ان نندفع نحو تحقيقها حتى اذا اقتضى الأمر تجاوز الآداب الإسلامية المرسومة في أصل الشريعة.

وهنا تأتي مسألة (الغاية تبرّر الوسيلة)[1] وهي المسألة التي عالجها الإسلام بشكل دقيق وعادل، بينما اخفقت الديمقراطية الحديثة

[1]) لمزيد من الاطلاع راجع هذا الموضوع في القسم الثاني من كتابنا المذهب السياسي في الإسلام.

في معالجتها.

إن منهج اتباع الولاية، وخط المرجعية الدينية هو الالتزام بالاحكام الشرعية في الاداء وعدم تجاوز الخطوط الحمراء الموضوعة في الشريعة فهو يهتم بالاهداف ويرى تحقيقها من خلال الوسيلة الشرعية الصحيحة.

فما هو حرام في الشريعة لا يجوز استباحته بحجة تحقيق بعض المصالح الإسلامية الا ضمن الحدود التي وضعها الشارع المقدس لذلك وهذا من الموارد التي نحتاج فيها إلى المجتهد الجامع للشرائط.

بعض المفردات الأخلاقية:

وهنا لا نريد ان نستعرض ما هي الأخلاق الاسلامية العامّة، وما هي حدود الشريعة فان كتب الأخلاق والفقه قد استوعبت ذلك.

ولكن قد يناسب هنا الإشارة الى مدى تأكيد الائمة الأطهار(ع) على هذه الخصوصية في واحدة من المفردات التي قد يتورّط بعض العاملين للإسلام فيها بعيداً عن التوصيات الإسلامية المؤكدة.

وهي مفردة (السَبّ) التي قد يحسب بعض العاملين للإسلام أنها طريق لاسقاط الآخرين من أعين الناس والتغلب عليهم، فبدلاً من اعتماد طريق البرهان والنقد العلمي يلجأ الى اسلوب السبّ والطعن

بشخصية الآخر وهذا هو ما نهت عنه الشريعة واعتبره اهل البيت(ع) خارجاً عن صفة المؤمن.

العدالة هي الخطّ العام:

ولقد كانت تأكيدات القرآن الكريم واضحة في هذه النقطة بالذّات، ربما لأنها موضع ابتلاء العاملين فأراد أن يحذرهم من التورّط فيها.

يقول الله تعالى في صفات المؤمنين: **(وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)**،ويقول تعالى في صفات عباد الرحمن: **(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً)**[1].

وحتى في التعامل مع العدو، فإنّ القرآن الكريم دعا لإجتناب الظلم وعدم الانجرار بجواذب الإنفعالات النفسية، وطغيان حالة الانتقام.

قال تعالى: **(وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ)**[2] .

كما دعا القرآن لالتزام العدالة في المنطق، وفي الموقف مع الصديق أيضاً بعيداً عن المحاباة ونسيان المبادئ والقيم واصول

---

[1]) سورة الفرقان : ٦٣
[2]) سورة المائدة: ٢

الاخلاق الإسلامية فقال تعالى: **(اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)**[1].

وهكذا تكون التقــوى المتمثلــة بــالتزام حــدود الله، وآداب الــشريعة وأخلاق الإسلام هي منهج التعامل مع الــصديق والعــدو، ومــع القريــب والبعيد، وفي الاهداف الشخصية او الاهــداف الدينيــة، فالــسلوك يجــب ان يخضع في كل حالاتــه لــلآداب الاســلامية، والعامــل للإســلام هــو اولى من غيره بالتزام تلك الآداب والتقيد بتلك الحدود.

فــلا يمكــن لــه ان يكــذب، او يــستغيب، او يفتــري، او يــسب، او يحسد، او ينتقم، او يبهت الآخرين بحجة خدمة المصالح الدينية.

[1]) سورة المائدة: ٨

الموضوع الثالث

التـزام

المناهج الاسلامية

تحدثنا في فصول سابقة عن مفردتين في أخلاقنا السياسية وهما:

١ــ الانتماء لله تعالى.

٢ــ الالتزام بالاحكام الاسلامية.

والآن نصل الى مفردة ثالثة في أخلاقنا السياسية او (أخلاق العمل الإسلامي) وهي مفردة (التزام المناهج الاسلامية) في الحياة الذاتية والاجتماعية.

الإسلام لديه مناهج في البناء

ونحن هنا لسنا بصدد البحث عما هو المنهج الاسلامي في بناء الفرد والمجتمع فذاك بحث موكول الى محله، وانما نحن بصدد البحث عن انعكاسات هذا المنهج على أخلاقنا السياسية.

ولكننا نحتاج هنا ــ وعلى سبيل الايجاز ــ للتأكيد على ان الاسلام الذي هو مشروع متكامل لبناء الفرد والمجتمع، لابد ان

يكون له منهج متكامل في هذا السبيل، كما ان ساحة العمل الاسلامي والدعوة الى الاسلام وتنظيم الامة الاسلامية، لا يمكن ان تكون خالية ومتروكة من دون منهج متكامل قد رسمه الاسلام.

الاسلام العظيم الذي نجح رغم كل المواجهات في تعبئة الامة وهدايتها وانقاذها.

ومذهب اهل البيت(ع) بالخصوص الذي استطاع ان يبني اقوى كتلة في المجتمع الاسلامي ويتحدى كل الوان التصفية والملاحقة عبر الف واربعمائة عام، لا يمكن لهذا الدين العظيم والمذهب العظيم ان يكون بلا اطروحة متكاملة في بناء الفرد والجماعة.

فكما رسم الإسلام منهجا للعبادات او منهجا للمعاملات، كذلك رسم منهجا للعمل التغييري والسياسي لوضع الامة في مسارها الصحيح.

ونحن قد ناسف إذ نرى بعضنا قد وقع تحت تأثير الحضارة الغربية ومفاهيمها ومناهجها في ادارة العمل التعبوي والسياسي وقد نأسف اكثر حينما نرى المنهج الاسلامي يعيش معنا في كل زاوية من زوايا المجتمع ولكننا ــ او بعضنا ــ في غفلة كمثل اولئك الذين تجري ينابيع الماء العذب تحت اقدامهم وهم يستوردون المياه المعلبة.

أخلاقنا تعتمد المنهج الاسلامي

ان اخلاقنا السياسية تعتمد بالدرجة الاولى تلك المناهج التي شرعها الاسلام في مجال بناء الفرد والمجتمع، فيجب ان نكون اول الناس في تطبيقها والتزامها بدلا من التشبث باذيال مناهج اخرى مستوردة.

ان حركة المسجد، وصلاة الجماعة، ومجالس الوعظ والارشاد، والدراسات الدينية، والتفقه باحكام الشريعة، ومجالس الدعاء ومحافل الذكريات الاسلامية، والحج والعمرة، وزيارة المشاهد الشريفة وتفعيل المؤسسات الخيرية وهكذا حركة الاسرة، والرحم والعشيرة، والجيران، وابناء المحلة.

ومثلها في مجال البناء الذاتي للفرد عبر العبادات، وتزكية النفس، والتفكر والتأمل، وانتخاب الكتاب النافع والصديق النافع، ومجانبة اصدقاء السوء، ومواضع التهم، ومجالس البطالين.

ان الاخلاقية التي وضعها الاسلام في هذه المجالات وغيرها تمثل منهجا اسلاميا متكاملا، ونحن في عملنا الاسلامي لا يجوز ان نبتعد عن هذا المنهج.

على ان ذلك لا يمنع بالطبع من اعتماد اساليب مستحدثة في العمل الاسلامي شريطة ان توضع في اطار وتعميق المناهج

الاسلامية ذاتها.

ومن المفيد بهذا الصدد ان نقرأ عدداً من الاحاديث الشريفة التي أكدت على هذه المفردة وهي (التزام المناهج الاسلامية) في عملنا الاسلامي وحضورنا الاجتماعي.

يقول الامام الصادق(ع): (امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، والى اسرارنا كيف حفظهم لها عند عدونا، والى اموالهم كيف مواساتهم لاخوانهم فيها).

ويقول الامام الباقر(ع): (شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا المتزاورون في احياء امرنا، الذين اذا غضبوا لم يظلموا، وان رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا)[1].

وقد سبق ان اشرنا الى هذه الحقيقة وهي ان اهل البيت(ع) حينما يتحدثون عن الشيعة وصفات الشيعة فانما يتحدثون عن اتباعهم بوصفهم جماعة سياسية متميزة تتحمل اهدافا ومسؤوليات في الامة الاسلامية، ولذا فان الاوصاف والاخلاق التي اعتبروها فيهم انما تمثل اخلاقهم السياسية في العمل وفي الحفاظ على هذه الكتلة وسط المجتمع الاسلامي الواسع.

وقد لاحظنا كيف ان الائمة(ع) يؤكدون وفي مواضع واحاديث

---

[1]) انظر هذه الاحاديث في (ميزان الحكمة) باب الشيعة.

كثيـــرة جـــداً علـــى مـــسألة الـــصلاة، التـــزاور، التبـــاذل، الحقـــوق الاجتماعية، الجمعة، الجماعة، وغير ذلك ممـــا يمثـــل بمجموعـــه المـــنهج الاسلامي في العمل.

الموضوع الرابـع

التسليم والطاعة

الطاعة للإمام

ان مراجعة دقيقة في النصوص الواردة عن اهل البيت(ع) ـ واستناداً إلى ما جاء في القرآن وسنّة الرسول (ص) ـ تكشف لنا انهم (ع) حين تحدثوا عن خصال الشيعة انما رسموا معالم سياسية لهذه الجماعة وكان اول تلك المعالم السياسية هي ارتباطهم وطاعتهم لاهل البيت(ع).

لان الشيعة في التاريخ كانوا يمثلون جماعة سياسية في المجتمع الاسلامي كما كانوا يمثلون جماعة ذات رؤية اعتقادية وفكرية وفقهية خاصة، لكن الجانب السياسي هو الملحوظ بشكل واضح حينما يتحدث الائمة الاطهار(ع) عن خصال الشيعة وتحت عنوان (الشيعة) بخلاف الامر حينما يتحدثون عن صفات المؤمن تحت عنوان (المؤمن)، فالحديث هنا يأخذ منحىً اخلاقيا عاماً بينما الحديث عن الشيعة يأخذ منحىً سياسياً خاصاً، وهذا ما وجدناه

واضحا في النصوص المتقدمة.

وعلى كل الاحوال فان اخلاقية التسليم المطلق والطاعة للامامة الشرعية بأعلى درجاتها تبقى هي المعلم البارز في اخلاقية خط الولاية، وانصار العلماء والمرجية الدينية.

تَدرّج الطاعة

ومن الطبيعي ان نعرف ان الطاعة تتدرج من الطاعة لله تعالى، ثم الطاعة لرسوله (ص) ثم الطاعة للائمة الاطهار(ع)، وبعد ذلك الطاعة لأولياء الامور واصحاب النيابة الشرعية عن الائمة الاطهار(ع)، وهم الفقهاء العدول الذين يتصدون للعمل السياسي والاجتماعي ويتصفون بالخبرة والكفاءة فيه، كما هو ثابت في مذهب اهل البيت(ع).

الطاعة المطلقة لله تبارك وتعالى تنطلق من الايمان بانه تعالى اعلم بحقائق الامور، وهو احكم الحاكمين، وارحم الراحمين، وخير الناظرين.

كما ان الطاعة والتسليم للنبي(ص) والائمة الاطهار(ع) تنطلق من الايمان بعصمتهم وصوابهم المطلق في الابلاغ عن الله تعالى، وفي تشخيص الحقائق واتخاذ المواقف.

واما التسليم والطاعة للقيادة الشرعية المتمثلة بالولي الفقيه العادل فانها لا تنطلق من الايمان بتوفر العصمة عند هذه القيادة وانما تنطلق من الثقة العالية بعلمهم وعدالتهم وكفاءتهم من ناحية، واعتبارهم ينوبون في موقع الامامة والولاية عن الائمة الاطهار(ع) وهذا هو ما اكده النص الشريف المروي عن صاحب العصر الامام المهدي(ع): (اما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله)[1].

ويقول الامام الصادق (ع):(فاذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فانما استخف بحكم الله، وعلينا رد، والراد علينا كالراد على الله، وهو على حد الشرك بالله)[2].

الطاعة وحق الحرية

واذا كانت الطاعة والتسليم للقيادة الشرعية شرط التشيع، وأصلاً في اخلاقية خط الولاية ومنهج اهل البيت(ع) فسوف نعرف من ذلك ان حق الحرية السياسية[3] سيكون محدودا بالعمل في اطار ما تقرره الولاية الشرعية.كما ان حرية التعبير عن الرأي في المجال السياسي يجب ممارستها في الاطار نفسه لا في خارجه.

---

[1]) وسائل الشيعة ـ كتاب القضاء.
[2]) المصدر السابق.
[3]) سوف نتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل في كتابنا (منهجنا السياسي) فراجع.

ان اخلاقنا السياسية ــ بوصفنا خط الولاية ــ لا تسمح لنا أبداً بأي تجاوز لمواقف الولاية الشرعية وآرائها السياسية مهما كانت المعاذير والحجج، وان الحديث عن الحرية السياسية والرأي الآخر هو حديث يخضع في النظرية الاسلامية لضوابط خاصة ــ كما عرفنا ذلك سابقا ــ بخلاف ما هو منهج الديقمراطية حيث تتحول الحرية السياسية فيها الى ظاهرة الانفلات السياسي، ويتحول الراي الاخر الى ظاهرة التنازع السياسي.

ولقد كان التصريح القرآني رائعا جداً في التعبير عن الحرية خارج دائرة الولاية باعتباره تفرقاً، والتعبير عن الرأي الاخر خارج دائرة الطاعة تنازعاً.

قال الله تعالى: (**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**)[1]، وقال الله تعالى: (**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**)[2].

وقد يكون مفيداً هنا ان ننقل النص التالي لأستاذنا الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) حينما قال: (ولئن كانت الحرية في الحضارات الغربية تبدأ من التحرر لتنتهي الى الوان العبودية والاغلال، فان الحرية الرحيبة في الاسلام على العكس، لانها تبدأ

---

[1]) سورة آل عمران : ١٠٣
[2]) سورة الانفال: ٤٦

من العبودية المخلصة لله تعالى لتنتهي الـــى التحـــرر مـــن كـــل اشـــكال العبودية المهينة).

الموضوع الخامس

الاعتدال السياسي

الاعتدال السياسي في مقابل التطرف السياسي

او بعبـــارة اخـــرى الموضـــوعية الـــسياسية فـــي مقابـــل العـــصبية السياسية، هذا الاعتدال وهذه الموضـــوعية هـــي واحـــدة مـــن اخلاقياتنـــا في العمل الاسلامي.

العصبية والتعـصب هـي حالـة مرفوضـة فـي اخـلاق العـاملين للاسلام، كما هي حالة مرفوضـة ايـضا فـي سـائر مجـالات الـسلوك الانساني، لكن حديثنا الان هـو عـن العـصبية الـسياسية ولـيس عـن العصبية المزاجية.

ولقد جاءت النصوص متواترة في سياق ذم العصبية:

قال رسول الله(ص): (من كـان فـي قلبـه حبـة مـن خـردل مـن

عصبية بعثه الله يوم القيامة مع اعراب الجاهلية).

وقال امامنا الصادق(ع): (من تعصَّب عصَّبه الله بعصابة من نار)[1].

ما هي العصبية السياسية؟

اذا كانت كلمة العصبية في اللغة مشتقة من التعصب وهو من العصب بمعنى شدة الالتزام والترابط وقوة التماسك، فان العصبية بهذا المعنى قد تكون مقبولة حينما تكون تعصبا للحق والمبادئ الحقة.

اذن فالعصبية المذمومة في العمل السياسي هي ما كانت منطلقة من أهواء نفسيّة ومصالح شخصيّة وحالات مزاجية.

بينما العصبيّة الممدوحة في العمل السياسي هي ما كانت منطلقة من القيم والمبادئ الحقة.

سئل الامام السجاد(ع) عن العصبية فقال: (العصبية التي يأثم عليها صاحبها ان يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم

[1]) الكافي ج٢ ، ص٣٠٩ ،ج٤، انظر ايضا ميزان الحكمة ، ج ٣ ، ص١٩٩٢.

آخرين)[1].

بينما يقول الامام الصادق(ع) حين سئل: ما ادنى ما يصير به العبد كافرا؟ فأخذ حصاة من الارض فقال: (ان يبتدع شيئا فيتولى عليه ويبرأ ممن خالفه)[2].

ولأن بعض حالات التعصب ممدوحة وجدنا الامام علي(ع) يقول: (فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والاخذ بالفضل، والكف عن البغي، والاعظام للقتل، والانصاف للخلق، والكظم للغيض، واجتناب الفساد في الارض)[3].

التعصب للافراد او للجماعات

في ضوء ذلك فان الانسان العامل للاسلام يجب ان يدرس بدقة حالات الاندفاع والانتماء للافراد او للجماعات، او للمواقف والاتجاهات.

فكل اندفاع كان بغير قيم الحق ومقاييس الحق التي رسمها الاسلام فهو عصبية تحشره مع اعراب الجاهلية، وكل اندفاع كان انطلاقا من المبادئ الحقه، وحرصا على المصالح العادلة والحقه

[1]) الكافي ج٢ ، ص٣٠٩ ،ج٤، انظر ايضا ميزان الحكمة ، ج ٣ ، ص١٩٩٢.
[2]) المصدر السابق.
[3]) ميزان الحكمة ـ باب العصبية ـ الروايات المذكورة في هذا الفصل جميعا.

فهو اندفاع مقبول او هو (اعتدال سياسي) لانه اندفاع عادل.

هذا الفهم هو الذي نستوحيه من كلام الامام علي(ع) حينما قال: (شيعتنا النمرقة الوسطى) بعد ان رفض حالات التطرف المذموم في كلا جانبيه الايجابي والسلبي، وهو ما عبر عنه الحارث الهمداني حين سأله الامام(ع) عن حال الناس واختلافهم فقال: (فمن مفرطٍ غال ومن مبغضٍ قال)[1].

وهكذا يكون الاعتدال الاخلاقي بما يعنيه من مدلول صحيح هو منهجنا الاخلاقي في العمل.

وسوف يدعونا هذا المنهج الى تجنب كل لون من الوان الإفراط والتفريط السياسي.

قال رسول الله(ص): (ليس منّا من دعا الى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية)[2].

---

[1]) راجع نص الرواية في بحار الانوار - ج ٣٩ - ص ٢٣٩.
[2]) سنن ابي داوود ، ج ٢ ، ص ٥٠٣، ج ٢١ /٥

الموضوع السادس

احترام

ا الجمهور والنصح له

الحديث في هذا الفصل من (اخلاقنا السياسية) هو حديث عن اخلاق العمل مع الجمهور.

وطبيعي اننا لا نقصد هنا البحث عمّا هي النظرية الاسلامية في موقع الجمهور المسلم ودوره، وحقوقه، وواجباته، فذاك موكول الى محل آخر[1].

انما الحديث هنا عن منهج حركتنا وعملنا مع الجمهور كيف؟ وباي مستوى؟ ومع من؟ وغير ذلك من الاسئلة المتعلقة بهذا الشأن.

الهدف هو الجمهور

ابتداءاً يجب أن نعرف أن كل الهدف من بعث الانبياء، وارسال الرسل هو هداية الناس ونجاة العباد: **(أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ**

---

[1]) وهو ما تناولناه في كتابنا المدخل الى علم السياسية ـ تجديد من وجهة نظر اسلامية ـ

إِلَى النُّورِ)[1].

وعلى ذلك فان مدى نجاحنا في خدمة جمهـور المـؤمنين هـو الـذي يحدد مدى نجاح حركتنا، كما ان مـدى حـضورنا مـع الجمهـور هـو الذي يشرح مدى صحة منهجنا وسلامة تحركنا.

احترام الناس ومحبتهم

وسوف تفرض علينـا طبيعـة الهـدف مـن عملنـا الاسـلامي مـع الجمهور وطبيعـة النظـرة الاسـلامية للنـاس باعتبـارهم (عيـال الله) و(عباد الله) ــ كما جـاء فـي النـصوص الـشريفة ــ ان ننطلـق فـي العمل معهم من منطلق الاحترام والمحبة.

احترام الجمهور، وعدم التعالي عليـه، توثيـق العلاقـة معـه وعـدم الاعتزال عنه، اظهار المحبة وعدم التبـرم منـه، الاحـسان اليـه وعـدم الجفاء معه، قبول القليل منـه واعطـاء الكثيـر لـه، كـل هـذه صـور تطبيقية لاحترام الجمهور وهي خـصال واخلاقيـات اكـدتها النـصوص الشريفة على العاملين خاصة وعلى المؤمنين عامة.

ولنكتف هنا بقراءة بعضها:

قال الامـام علـي(ع): (الاخـوان صـنفان: اخـوان الثقـة واخـوان

---

[1]) سورة ابراهيم: ٥.

المكاشرة، فاما الثقة فهم الكهف والجناح والاهل والمال فان كنت من اخيك على حد الثقة فابذل له مالك ويدك، وصاف من صافاه، وعاد من عاداه واكتم سره وعيبه واظهر منه الحسن.

واما اخوان المكاشرة فانك تصيب منهم لذتك فلا تقطعن منهم لذتك، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان)[١].

وقال الامام الباقر(ع): (الناس رجلان مؤمن وجاهل، فلا تؤذ المؤمن، ولا تُجهِّل الجاهل فتكون مثله)[٢].

لاحظوا هذه المفردات: (لا تُؤذِ المؤمن)، (لا تُجهّل الجاهل)، (ابذل له مالك ويدك)، (لا تقطعن منهم لذتك)، (ابذل لهم طلاقة الوجه وحلاوة اللسان).

عدم التعالي على الناس

وفي هذا السياق قد نستذكر قصة على بن يقطين الذي كان وزيرا عند هارون الرشيد مع ابراهيم الجمال، ففي هذه القصة نرى الامام موسى بن جعفر(ع) يرفض استقبال علي بن يقطين ـ وكان شيعيا ـ لمجرد ان علي بن يقطين كان قد امتنع ذات مرة عن استقبال

[١]) اصول الكافي ـ الكليني ـ ج ٢ ـ كتاب العشرة.
[٢]) تحف العقول ـ الحراني ـ ما ورد عن الامام الباقر(ع).

ابراهيم الجمال، فقال له الامام الكاظم(ع): (أبى الله ان يشكر سعيك أو يغفر لك ابراهيم الجمال)[1].

هكذا يجب ان نكون ونحن في مواقع العمل، ومواقع المسؤولية، الانفتاح على الناس قضاء حاجاتهم، وعدم التعالي عليهم، ويجب ان نستشعر ان اعمالنا العبادية غير مقبولة الا اذا وضعنا انفسنا ومواقع عملنا في خدمة الناس ومهما كانت مستوياتهم.

الانفتاح على الطبقة العامة

كما ان قصة المفضَّل مع اصحابه واضحة الدلالة على مدى اهتمام اهل البيت(ع) بالطبقة العامة من الناس، وضرورة الانفتاح عليهم بخلاف ما كان يتجه اليه بعض تلاميذ الامام الصادق(ع) من الاعتقاد بضرورة الابتعاد عن هذه الطبقة، باعتبار ان الارتباط معهم يسيء الى سمعة العالم الديني.

القصة مفضَّلة ــ وانا ادعوكم لمراجعتها في مصدرها ــ تتلخص في ان المفضل كان له اصحاب من عوام الناس فجاء جماعة من اصحاب الامام الصادق(ع) وشكوا اليه طريقة المفضل في العمل وطلبوا من الامام ان يكتب للمفضل ويوصيه بترك هؤلاء.

لكن الامام(ع) وبطريقة ذكية اشعرهم بان حركتنا في الامة لا

[1]) راجع القصة كاملة في مفاتيح الجنان ـ باب آداب الزيارة.

يمكن ان تستغني عن هذه الطبقة من الناس، وفي ختام القصة برهن لهم المفضل من خلال توجيه الامام الصادق(ع) على هذه الحقيقة وقال لهم: (تأمروني ان اطرد هؤلاء من عندي؟ تظنون ان الله تعالى محتاج الى صلاتكم وصومكم)[1].

كما ان موقف الامام الحسن العسكري(ع) من أحمد بن اسحاق الاشعري ـ وكان وكيلا في الاوقاف بقم ـ هو الآخر يدلل على كيفية العلاقة مع الجمهور.

فنحن نلاحظ في هذه القصة ان الامام العسكري(ع) رفض استقبال احمد بن اسحاق الاشعري لانه كان قد رفض استقبال واحد من الشيعة لمجرد انه كان من اهل المعاصي.

ولكن الامام (ع) قال للاشعري: (صدقت، ولكن لابد من اكرامهم واحترامهم على كل حال، وان لا تحقرهم ولا تستهين بهم لانتسابهم الينا فتكون من الخاسرين)[2].

النصيحة لهم

ولكن الاخلاق الاسلامية تدعو الى التوازن بين الانفتاح على الجمهور وبين بذل النصيحة لهم.

---

[1]) راجع الرواية كاملة في كتابنا السابق (بحوث في حزب الله) وهي موجودة في ترجمة المفضّل بن عمرو من كتب الرجال فراجع.

[2]) انظر: بحار الانوار ـ ج ٥٠ حياة الامام الحسن العسكري(ع) باب مكارم اخلاقه ـ ص ٣٢٤.

وهذه قضية مهمة جدا فربما يفهم البعض من قضية الانفتاح على الجمهور وخدمتهم ومحبتهم ان يكون همنا هو طلب رضاهم، وكسب ودَّهم، والسير معهم حيثما شرقوا او غربوا في الافعال والاقوال.

لكن اخلاق العمل الاسلامي ترفض هذا النوع من التزلف اللامسؤول، والمداهنة في الدين، بل تأمر بضرورة النصح للجمهور بالمعنى الواسع للنصح الذي يشمل النقد، والنهي عن المنكر، والامر بالمعروف، وتصحيح الافكار، وتوجيه المواقف وغير ذلك.

قال رسول الله(ص): (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم).

قال الامام الباقر(ع): (من لم يصبح ويمسي ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين فليس منهم).

ولكن النصيحة يجب ان لا تبتعد عن الرحمة والرفق وقصد الهداية والاحسان والخير.

قال الامام السجاد(ع): (حق المستنصح ان تؤدي اليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به)[1].

---

[1]) انظر: الروايات كلها في (ميزان الحكمة) باب النصيحة.

الموضوع
السابع

قبول الآخر

ما هي اخلاقنا مع الاطراف الاخرى العاملة في الساحة؟

وحينما نقول الاطراف الاخرى فان التعبير قد يحتوي على شيء من التسامح، لان الاطراف الاخرى او الاشخاص الآخرين العاملين في الساحة هم منّا، وهم نحن، لان المؤمنين كالجسد الواحد، وانما المقصود انهم اطراف عاملة في الساحة قد لا ترتبط معنا بنفس الروابط الادارية والعلاقاتية والحركية التي تربط بعضنا مع البعض الآخر في الدائرة الواحدة للعمل.

وعلى كل الاحوال فنحن اذا كنا نمثل تيارا خاصا في العمل هو الذي نصطلح عليه بـ (خط الولاية) او خط (حزب الله) او غير ذلك فالسؤال هو: كيف نتعامل مع المجموعات الكثيرة العاملة في الساحة السياسية والدينية، سواء تلك المجموعات التي تؤمن بنفس منهجنا او تؤمن بمنهج آخر في العمل؟ طبعا المقصود هو الجماعات المؤمنة ذات الاهداف المشتركة معنا، كيف يجب ان نتعامل معهم؟

ثلاث سياسات مرفوضة

ثلاث سياسات مرفوضة في التعامل مع الآخرين هي سياسة (الالغاء)، و(الاحتواء)، و(الاستعلاء)، هذه سياسات مرفوضة في أخلاق العمل الاسلامي ومنهج خط الولاية وحزب الله الذي ينفتح على الجميع باعتبارهم جزءاً من اصل المشروع الحركي.

سياسية (الالغاء): تعني العمل على حذف الطرف الآخر.

وسياسة (الاحتواء): تعني العمل على وضع الآخرين تحت السيطرة وفرض الهيمنة عليهم.

وسياسية(الاستعلاء): تعني العمل على حالة التفوق على الآخرين، والتنافس معهم بهدف كسب الموقع الاعلى والحصة الاكبر للعنوان الخاص والانتماءات الخاصة بدلا من ايثار مصلحة العمل وبناء المشروع العام.

ان سياسة الغاء الآخرين في العمل الاسلامي هي منهج الاعداء وليس منهج الاولياء الذين قال عنهم القرآن الكريم: (**الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**)[1].

كما ان سياسة الاحتواء ــ بالمعنى السابق ــ التي قد تتبعها

[1]) سورة التوبة : ٧١

بعض المناهج الحزبية في العمل الاسلامي هي سياسة نابعة عن نظرة ضيقة للاسلام وللامة.

ولكن هذه الرؤية تغفل عن ان العمل للاسلام واسع والامة يجب ان تكون لها مبادراتها الحقيقية، كما يجب تنضيج روح الاصالة والثقة بالنفس فيها، وتغفل هذه الرؤية ايضا عن دور علماء الدين وموقعهم في الشريعة الاسلامية، وفي المنهجية التي اتبعها اهل البيت(ع) في اعتماد هذه المؤسسة العلمية كموقع قيادي لحركة الامة الاسلامية.

واما سياسة(الاستعلاء) وطلب التفوق الشخصي والفئوي على الآخرين فهي سياسة لا تقبلها التربية الاسلامية التي تريد ان يكون العمل لله تعالى بعيدا عن الاسماء والمسميات الاخرى، فالتفوق يجب ان يكون للاصلح والافضل والاكثر خدمة للاسلام وللامة، سواء كان من مجموعتي او من المجموعة الاخرى، وسواء كان باسمي او باسم آخر.

سياسة(الولاء)

ان اخلاق العمل الاسلامي وفقا لتوصيات الشريعة الاسلامية تفرض علينا اتباع ما يمكن ان نسميه بـ (سياسة الولاء) للمؤمن الآخر في العمل الاسلامي شخصا او مجموعة بدلا من سياسة

الالغاء او الاحتواء او الاستعلاء.

سياسة(الولاء) تعني بذل المحبة والنصرة والدعم للطرف الآخر حتى نحب له ما نحب لانفسنا ونكره له ما نكره لانفسنا انطلاقا من قوله تعالى: (**الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**)[1] خصوصا اذا عرفنا منهج حزب الله وخط الولاية في العمل الاسلامي.

ان هذا المنهج يعتقد ان كل الجماعات العاملة للاسلام هي جماعة واحدة، وتيار واحد، مثالها في ذلك مثال الاعضاء المتعددة في البدن الواحد، وحينئذ فلا معنى لان يطلب بعض الاعضاء الغاء العضو الآخر او التفوق عليه او التحكم بفعله طالما كانت جميعها اعضاء صالحة سائرة ذاتيا في مشروع واحد وخاضعة لتوجيه واحد وهو توجيه مركز القرار والولاية الشرعية، واذا كان بعض الاعضاء يشكو من الفساد والانحراف المطلوب هو العمل على مهالجته الا اذا واصبح على سائر الاعضاء.

هذا المعنى هو ميزة المؤمنين في العمل وهو ما تشير اليه الآية القرآنية: (**وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**)[2].

فالولاء يجب ان يبذل لجميع المؤمنين كما جاء في الآية السابقة

[1]) سورة التوبة: ٧١
[2]) سورة المائدة: ٥٦.

بعنوان: (وَالَّذِينَ آمَنُواْ) وليس لمجموعة خاصة منهم دون أخرى.

وعلى هذا فمن اجل ان يكون عملنا الهيا منتسبا الى الله تعالى لا الى الذات وجب ان نشعر بان كل الجماعات العاملة للاسلام هي جزء منا ونحن جزء منها مهما اختلفت المواقع والاساليب.

ووجب التعاون معها انطلاقا من قوله تعالى: **(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى)**[1]، والانشداد الرحيم والعطوف اليها انطلاقا من قوله: **(أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)**[2] وهذا هو ما نقرؤه في دعاء الامام علي بن الحسين زين العابدين(ع) المعروف بدعاء (مكارم الاخلاق) حيث يقول: (اللهم صل على محمد وآل محمد، وابدلني من بِغضَةِ أهل الشنآن المحبَّة، ومن حَسدِ أهل البَغيِ المودَّة، ومن ظِنَّة اهل الصلاح الثقة، ومن عداوة الأدنين الولاية).

وهكذا رسم الامام من خلال مقاطع الدعاء الاخلاقيات المطلوبة في التعامل مع الآخرين، فيجب ان نعيش المحبة للآخرين بدلا من البغض، والمودة بدلا من الحسد، والثقة بدلا من سوء الظن(الظِنة) والولاء بدلا من العداء.

بل يجب ان نطمح لما هو اكثر من ذلك وهو ما عبر عنه الامام في مقاطع اخرى من الدعاء حيث قال: (اللهم صل على محمد وآل

---

[1]) سورة المائدة: ٢.
[2]) سورة الفتح: ٢٩.

محمد، وسددني لان اعارض من غشني بالنصح، واجزي من هجرني بالبر، واثيب من حرمني بالبذل، واكافي من قطعني بالصلة، واخالف من اغتابني الى حسن الذكر).[1]

هذه الاخلاق يجب ان نمارسها في ساحات العمل الاسلامي ومع العاملين للاسلام كما يجب ان نمارسها في السلوك الشخصي وفي العلاقات الشخصية مع الآخرين.

الاختلاف والتنازع

لقد نهى القرآن الكريم عن التنازع بين الجماعات او الاشخاص العاملين للاسلام كما قال: (ولا تنازعوا فتفشلوا)[2]، ونهى الاسلام عن التكتل المتضاد، وصراع الجماعات كما في قوله: (**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**)[3].

لكنه لم ينه عن الاختلاف في الاجتهادات والامزجة والاساليب طالما كانت جميعا مرتبطة بالقرار الواحد والقيادة الواحدة.

ولذا فان اخلاق العمل الاسلامي تفرض علينا قبول الاجتهادات الاخرى في ميادين العمل وعدم الدخول في مواجهتها طالما كانت جميعها متسقة مع الاتجاه العام الذي تضعه القيادة الشرعية،

[1]) راجع الدعاء الكامل في (الصحيفة السجادية) او (مفاتيح الجنان).
[2]) سورة الانفال: ٤٦.
[3]) سورة آل عمران: ١٠٣.

وتقتضيه المصلحة الاسلامية.

حسن الظن

ومجرد اختلاف الآخرين معنا في مواقع العمل، او طرق العمل لا يسمح لنا ان نسيء الظن بنواياهم ثم نتخذهم اعداء، كل يعمل من موقعه، وبطريقته، والواجب علينا هو اعتبارهم جزءا من مشروع العمل الاسلامي الواحد.

وهنا نستطيع ان نقرأ عشرات النصوص الشريفة التي اكدت على ضرورة حسن الظن بالآخر ولعل اوضحها قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)**[1].

على ان ذلك لا ينافي ــ بطبيعة الحال ــ ضرورة الحذر وعدم الاسترسال المطلق مع الآخرين، وهذا هو ما اكدته روايات اخرى تدعو بظاهرها الى سوء الظن كما في قول الامام علي(ع): (احترسوا من الناس بسوء الظن)، وقوله(ع): (ولا تثقن باخيك كل الثقة، فان صرعة الاسترسال لا تستقال)[2] حيث ان الظن الاثم هو ترتيب الأثر العملي تجاه الآخر على اساس سوء الظن واما الأحتراز بسوء الظن فهو مجرد عدم الاسترسال.

---

[1]) سورة الحجرات : ١٢.
[2]) ميزان الحكمة ـ ج٥ـ باب الظن.

وواضح ان المقصود ليس هـو الابتعـاد عـن اخلاقيـة حـسن ظـن بالمؤمنين وانما المقـصود هـو الـدعوة للحـذر والحيطـة والدقـة فـي اختيار العاملين او الاصـدقاء مـن عامـة النـاس، وعـدم الاسترسـال المطلق معهم بحيث يتحول الى بـساطة وسـذاجة فـي التـصرف يمكـن استغلالها والتحايل عليها.

الموضوع الثامن

احترام

علماء الدين وإتّباعهم

الجانب النظري او الجانب الاخلاقي

لا نريد لدى البحث عن (اخلاقنا السياسية) ان نخوض في الجانب النظري لمسألة موقع علماء الدين في الاطروحة السياسية الاسلامية فذاك بحث موكول الى محله.[1]

الا ان الرؤية الاسلامية بشأن موقع علماء الدين في هداية الامة وطبيعة علاقة الامة معهم يتفرع عنها نمط خاص في السلوك الاخلاقي الذي يجب ان يحكم علاقة الامة بالعلماء.

ومن هنا كان للمسألة جانب نظري وجانب اخلاقي معاً وهذا الاخير هو الذي نريد ان نبحثه موجزا في هذه النقطة.

التربية العلمية

اول خطوة في الجانب الاخلاقي من المسألة هي في طبيعة التربية العلمية التي يعمد الاسلام على ترسيخها في ابنائه.

ان نكون اتباعا للمعرفة والعلم، وان كون طلابا للحقيقة، وان

[1]) راجع في ذلك كتابنا (بحوث في خط المرجعية).

نروض انفسنا على الخضوع للحق وللعلم اينما كـان بـدلا مـن اطـلاق العنان للنفس والسماح لها بحالات التمرد وطغيان الانانية.

لاحظوا مـا يقولـه الامـام زيـن العابـدين(ع) فـي دعـاء مكـارم الاخلاق: (وفقني لطاعة من سدَّدني، ومتابعة من أرشَدني).

انعكسات التربية العلمية

هذه التربية العلمية في بناء الذات تنعكس علـى الـوان مـن التعامـل مع العلماء، وبخاصة علماء الدين، بـدءا مـن مـصاحبتهم، ومجالـستهم، والنظر اليهم، والسؤال مـنهم، والتـأدب فـي الحـديث معهـم وانتهـاءا بالطاعة لهم والاقتداء بهم.

ولقد جاءت النصوص الشريفة كثيرة جدا في هذا المجال.

نقرأ بعضها[1]:ـــ

عن رسول الله(ص): (من استقبل العلمـاء فقـد اسـتقبلني، ومـن زار العلماء فقد زارني، ومن جالس العلمـاء فقـد جالـسني، ومـن جالـسني فكأنما جالس ربّي)[2].

وعن الامام السجاد(ع): (حق سائـسك بـالعلم التعظـيم لـه والتـوفير

---

[1]) انظر: (ميزان الحكمة) باب العلم.
[2]) المصدر السابق.

لمجلسه وحسن الاستماع اليه، والاقبال عليه، وان لا ترفع عليه صوتك ولا تجيب احدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه احدا، ولا تغتاب عنده احدا، وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء، وان تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوا، ولا تعادي له وليا، فاذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بانك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس)[1].

وروي عن رسول الله(ص) قوله: (النظر إلى وجه العالم عبادة)[2].

المراقبة والاختيار المناسب

وكما كانت الامة مدعوة الى احترام العلماء واتباعهم والاخذ عنهم كذلك كانت الامة مدعوة الى التعامل الواعي معهم، والنظرة الموضوعية لهم، بدلا من الاسترسال في التقديس المطلق، والتبعية العمياء.

ولذا حين سئل الامام الصادق(ع) عن قول رسول الله(ص): (النظر الى وجه العالم عبادة) قال: (هو العالم الذي اذا نظرت اليه ذكّرك الآخرة، ومن كان خلاف ذلك فالنظر اليه فتنة)[3].

---

[1]) انظر: (ميزان الحكمة)، باب العلم.
[2]) المصدر السابق.
[3]) انظر في جميع هذه الروايات كتاب اصول الكافي ، ج ١، كتاب العلم.

وقد روي عن الامام علي(ع) قوله: (اياكم والجّهال من المتعبدين، والفجار من العلماء فانهم فتنة كل مفتون).

وروي عن الامام الصادق(ع) قوله: (اوحى الله عزوجل الى داود(ع) لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، فان اولئك قطاع طريق عبادي المريدين).

وروي عنه(ع) ايضا قوله: (اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم، فان كل محب يحوط ما احب).

امتياز خط الولاية

ان ما يميز (خط الولاية) عن الخطوط الاخرى من حيث السلوك الاخلاقي مع العلماء هو ارتباط هذا الخط دينيا وسياسيا بالعلماء الصالحين باعتبارهم (ورثة الانبياء) و(امناء الرسل) كما ورد في الحديث الشريف، واتخاذهم القدوة في السلوك، والمصدر في التوجيه، والامناء على المسيرة بدلا من اعطاء هذا الموقع الى شخصيات سياسية من غير علماء الدين، او اعطاء هذا الموقع الى تنظيمات حزبية تضع نفسها موضع القيادة والقدوة، في الوقت الذي يحتفظ ابناء خط الولاية بالاحترام الكامل، والتعامل الاخلاقي الحسن مع الآخرين شخصيات او مجموعات، بمقدار ما تفرضه الآداب الاسلامية من ناحية، ووحدة الاهداف والمصير من ناحية ثانية.

كما يمتاز خط الولاية بنظرته الواعية والدقيقة لعلماء الدين والتعامل معهم على اساس مقدار تجسيدهم لقيم الاسلام وخُلُق الاسلام، ومقدار تصديهم لقضايا الامة وهمومها وخبرتهم ودرايتهم بظروفها ومصالحها وحضورهم الاجتماعي والسياسي في الساحة.

الانتقاد الواعي

وكما كانت تبعية ابناء حزب الله لعلماء الدين تبعية واعية وقائمة على اساس شرعي، كذلك يجب ان تكون عملية النقد والانتقاد للعلماء حينما تصدر منهم هفوات في السلوك او اخطاء في المواقف.

لان أحداً لا يدّعي العصمة لعلماء الدين، كما ان احدا لا يوصد الباب امام عملية التقييم الموضوعي والنقد البنّاء الهادف لهم.

ولكن المسألة هي مسألة حدود هذا النقد واهدافه.

ان اخلاقنا الاسلامية في العمل ترفض حالات التعميم في النقد وسحب الاخطاء على الجميع، والتشكيك في الوجود العلمائي كله، والانقلاب على اصل الاطروحة الاسلامية الداعية الى الاحتفاظ بموقع متميز للعلماء الصالحين في عملية هداية الامة، وترشيد مسيرتها، وتبني قضاياها.

ان الموقف هنا هو كالموقف من الطبيب اذا اخطأ او انحرف هل يصح لنا سلب الثقة من المؤسسة الطبية كلها ودعوة الناس للتمرد عليها؟

حق النصرة

وتبقى مسالة مهمة في اخلاقنا السياسية مع العلماء وهي مسألة النصرة لهم، والدفاع عنهم، هذا هو ما قرأناه صريحا في كلام الامام زين العابدين(ع) وهو يتحدث عن حق العالم بالقول: (وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء، وان تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوا، ولا تعادي له وليا)[1].

فلا يكفي ان نحترم هؤلاء العلماء الصالحين والعاملين للاسلام ثم نتركهم في ساحة المعركة السياسية ولا ننتصر لهم ولا ندفع عنهم، لا يصح ان نحبهم ونحب خصومهم في ذات الوقت.

لا يصحّ ان نبجلهم ونكرمهم ولكننا نفعل ذات الفعل مع اولئك الحاقدين عليهم والطاعنين لهم.

ان اخلاق (خط الولاية) و(انصار المرجعية) و(ابناء حزب الله) هي الوقوف مع العلماء في نفس الخندق، والاستعداد للتضحية من اجلهم وفي طريقهم بمقدار استعداد العلماء انفسهم للتضحية من اجل

[1]) تحف العقول ـ باب ما روي عن الامام علي بن الحسين(ع).

الاسلام وفي سبيل نجاة الامة وكرامتها.

هذا الموقف هو برهان صدقنا في إتّباع العلماء وارتباطنا بهم كما قال امامنا السجاد(ع) في تتمة النص السابق:(فاذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بانك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس).

الموضوع التاسع

قضية الوحدة

هناك معالم ثلاثة في المسار الشيعي تجعلنا نكتشف رؤية خاصة لاهل البيت(ع) في قضية الوحدة تختلف عن رؤية المدارس الاسلامية الاخرى وبخاصة تلك التي ارتبطت بحكومات الانحراف وسلاطين الجور.

فنحن نلاحظ ان الموقف الشيعي كان على طول التاريخ رافضا لمسارات الحكم المنحرف، وبعيدا عن الانصهار في ماكنة الاكثرية المسلمة التي خضعت لسلاطين الانحراف.

ومن ناحية ثانية نلاحظ ان الموقف الشيعي هو اسرع ما يكون الى الاستجابة لنداء الوحدة والذب عن الاسلام وعبور كل الحواجز النفسية والمذهبية والانخراط تحت الراية الواحدة حينما يكون الاسلام مهددا بالخطر وحينما يواجه عدوا مشتركا.

ومن ناحية ثالثة استطاع شيعة اهل البيت(ع) مع تصلبهم المذهبي، ورغم مواقفهم السياسية تجاه الحكومات الجائرة ان يبقوا جزءا فاعلا في جسم الامة الاسلامية الكبير دون ان يعزلوا او يهمشوا كما حدث لجماعات اسلامية اخرى.

اذن كيف تعامل اهل البيت(ع) وشيعتهم مع (قضية الوحدة) بالنحو الذي شكلت في تاريخهم تلك المعالم الثلاثة التي قد تبدو متقاطعة ومتضادة احيانا، فهم رجال الثورات من ناحية، وهم رجال الوحدة الإسلامية في مواجهة الاخطار من ناحية أخرى، وهم كتلة متميزة في آرائهم ومواقفهم لكنهم غير معزولين عن الكتلة الاسلامية الاكبر.

بطبيعة الحال لسنا ــ هنا ــ بصدد تقديم دراسة نظرية او تاريخية للموضوع بمقدار ما نريد ان نرسم معالم الموقف الاخلاقي تجاه هذه المسألة.

اتجاهان في قضية الوحدة

الوحدة مع الجماعة المؤمنة ضرورة في الفكر الاسلامي، والقرآن الكريم والسنة الشريفة جاءت تؤكد ذلك عبر عشرات بل مئات النصوص والمواقف المعروفة لدى الجميع.

لكن هناك اتجاهين في فهم تلك النصوص الداعية للوحدة:

الاول: هو الاتجاه الساذج والشكلي الذي عملت مدرسة الانحراف وسلاطين الجور على ترسيخه في الذهنية الاسلامية، وهو الذي يهتم بمظهر وحدة الامة وشكلها حتى اذا كان هذا الشكل والمظهر بعيدا عن المسار الاسلامي الصحيح.

الوحدة هنا تعني الانسجام الكامل مع السلطة، ومع قراراتها، ومع كل ما تفرضه من مذاهب فكرية وسياسية.

الوحدة هنا تعني اتباع اكثرية الامة باعتبارها هي(الجماعة) و(يد الله مع الجماعة) مهما كانت افكار ومواقف هذه الاكثرية، وسواء كانت متطابقة مع القواعد الاسلامية الاصيلة او غير متطابقة، وفي ضوء هذا سيكون كل موقف معارض هو موقف فتنة، وخروجا على الجماعة، وتمزيقا لوحدة الامة حتى اذا كان ذلك الموقف يقوده مثل سيد شباب اهل الجنة الامام الحسين(ع).

الثاني: هو الاتجاه الواعي والمبدئي الذي مثله اهل البيت(ع) وهو الذي يهتم بجانب المضمون والمحتوى لهذه الوحدة اكثر مما يهتم بالشكل والمظهر.

الوحدة على اساس مبادئ الحق، ومصالح الامة الاسلامية، وهذه الوحدة التي تضطرك احيانا لتجاوز كل الجزئيات والقناعات الخاصة من اجل الحفاظ على مصالح اسلامية اكبر، كما تضطرك احيانا للخروج على كل مواقف الصمت، واستسلام الاكثرية، وارهاب السلطان، لتكون وحيدا في الساحة او تمثل الاقلية المحكومة والمتهمة.

المقياس اذن هو مصلحة الاسلام والامة الاسلامية، وبهدف الحفاظ على المبادئ الحقه التي جاء بها الاسلام.

الوحدة بهذا المفهوم هي الاتجاه الذي فهمه اهل البيت(ع) والتي جعلت امير المؤمنين(ع) يقول: (لأُسلِّمنَّ ما سَلِمَت أمور المسلمين)[1].

وجعلت الامام الحسين(ع) يقول في موقف آخر: (هيهات منا الذلة)[2].

كيف نعمل من اجل الوحدة

وحينما دعا القرآن الكريم الى الوحدة لم يطرح ذلك على مستوى الشعار فقط وانما دعا الى تجسيده عملياً.

هكذا نحن يجب ان لا تكون الوحدة عندنا مجرد شعار بينما تحكمنا التفرقة، وتمزقنا الفئويات والانانيات.

وعلى هذا الاساس سوف نطرح السؤال التالي: كيف نعمل من اجل الوحدة؟

للاجابة على هذا السؤال نضع النقاط التالية:

أولاً: الوحدة الهادفة:

---

[1]) نهج البلاغة ، ج ١ ، ص ١٢٤، كلام ٧٤

[2]) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس، ص ٥٩

الوحدة التي ندعو لها ونؤمن بها هي الوحدة التي تقربنا نحو اهدافنا المرسومة، سواء تلك الاهداف الاسلامية الكبرى ام تلك الاهداف السياسية المرحلية.

اما الوحدة حينما تكون على حساب الاهداف، والتي قد نستطيع ان نحققها حينما نتراجع عن اهدافنا فنتربع مع اولئك القاعدين، او المعارضين لخط الثورة الاسلامية، او المؤيدين لبقاء الحكومات المنحرفة على راس السلطة، مثل هذه الوحدة هي وحدة مرفوضة عندنا كما هي مرفوضة في الدين.

يمكن ان نكسب رضى الجميع، ويمكن ان نتحد مع الجميع وذلك حينما لا يكون لنا أي اتجاه في المشي فترضى عنا ـ او بالاحرى تأتلف معنا ـ كل الاتجاهات ولكن هل حققنا بذلك رضى الله تعالى الذي يطلب منا العمل والجهاد والنصرة للحق؟

ثانيا: اختلاف المناهج:

اولئك الذي يختلفون معنا في الاهداف سوف لا يتحدون معنا ولا نتحد معهم طبعا، ولكن ماذا نصنع مع اولئك الذي يتحدون معنا في الاهداف ويختلفون معنا في المناهج؟

هؤلاء يجب العمل على التوحّد معهم، ودعمهم، حينما لا تكون مناهجهم مضادة لمناهجنا في العمل.

هناك من يعمل سياسيا، وآخر اعلاميا، وثالث جهاديا، ورابع انسانيا، وخامس على خط الجمهور، وسادس على خط الساحة الدولية، وهكذا، كل هؤلاء لا يوجد تضاد في مناهجهم وانما هي مواقع عمل تصب في الهدف الواحد، مثل هؤلاء يجب ان نعتبرهم جزءا من كياننا الكبير ومشروعنا الكبير، وحتى اذا اختلفت الرؤية في الاولويات، وتعددت الاتجاهات فان ذلك يجب ان لا يجرنا الى معركة جانبية ما دمنا نتحد في الهدف، ومن الحق ان نعتقد بصحة منهجنا وخطأ الآخر لكن فرضية الخطأ في الآخر لا تجعل منه عدوا لنا بل يجب ان يبقى لنا صديقا طالما كانت اهدافنا واحدة.

ثالثا: ادفع بالتي هي احسن:

وماذا نعمل حينما يختلف معنا بعض الاصدقاء الذين يمشون معنا في نفس الطريق؟

وماذا نعمل اذا ظهرت منهم عداءات ناشئة عن جهل او غفلة؟

هنا يجب ان يكون منهجنا منهج القرآن الكريم حينما قال: **[ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ]** [1]، هنا يجب ان يكون (العفو) و(كظم الغيض) و(مقابلة الاساءة بالاحسان) هو عنوان اخلاقنا السياسية.

---

[1]) سورة فصلت: ٣٤

رابعا: التنازل عن العناوين والحقوق الخاصة

وحينما تقف العناوين الخاصة، والحقوق الشخصية مانعا عن التوحد مع الآخرين من تحقيق الاهداف الكبيرة المشتركة، وحينما تكون حواجزا في السير نحو الاهداف الاساسية لحركتنا فان من اللازم التنازل عن تلك العناوين، ورفع اليد عن تلك الحقوق الخاصة المصغرة حتى اذا كانت صحيحة ومشروعة في نفسها.

وكذلك حينما نواجه اخطاراً اكبر من انفسنا، وفئاتنا، وعناويننا، ومصالحنا، حينما تكون القضية كلها في معرض الخطر، او حينما يكون الدين في معرض الخطر، او حينما تكون اهدافنا الاكثر اولوية والحاحا في معرض الخطر فان اخلاق العمل الاسلامي تدعونا للانسحاب السريع عن كل تلك القضايا الخاصة مهما كانت حقه.

هذا هو ما رسمه امير المؤمنين(ع) حينما شرح موقفه فقال: (فما راعني الا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى مَحق دين محمد (ص) فخشيت إن لم انصر الاسلام واهله أَن ارى فيه ثلما او هَدما تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوتِ ولايتكم)[١].

[١]) نهج البلاغة : الكتاب ٦٢.

خامسا: الانتماء السياسي

على ان ايماننا بالوحدة ودعوتنا لها لا يعني اننا نرفض الانتماء السياسي لهذه الجماعة او تلك الجماعة، والاسلام لم يدع الى رفض الانتماء، وانما دعا لاعتبار الصدق والحق والاخلاص هي مقاييس اساسية في الجماعة التي ننتمي لها قائلا: **[وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ]**[1] و**[وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ]**[2] و**[كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ]**[3].

وهكذا يصبح الانتماء السياسي للحق ولجماعة الحق تكليفا شرعيا حينما تتعدد الخطوط والاتجاهات.

ولكننا لا نقصد بالانتماء السياسي حالة خاصة وصورة محددة، انما نقصد الولاء والتأييد والنصرة لتلك الجماعة التي تمثل الموقف الحق، بكل صور الولاء والتأييد والنصرة التي يفرضها التكليف الشرعي.

سادسا: الفئوية المرفوضة:

لا توجد مشكلة في ان نكون (فئة معينة) او (مع فئة معينة) ولكن المشكلة في ان نتحول الى فئويين في نظرتنا للامور، فبدلا من جعل

---

[1]) سورة التوبة: ١١٩.
[2]) سورة الكهف: ٢٨.
[3]) سورة الصف: ١٤.

الحق، ومصالح الاسلام، وحدود الشريعة الاسلامية هي مقاييس حركتنا ومواقفنا وقناعاتنا تجاه الاشخاص والجماعات والمواقف نجعل رأي الفئة التي نرتبط بها فوق كل ذلك.

هذه هي الفئوية المرفوضة وهذه هي العصبية المذمومة، وهذا ما نهى عنه القرآن الكريم حينما قال: [**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ**] [١].

وقد يتطرف البعض في الرؤية فيرفض كل الفئات والجماعات، ويتهم كل الفئات والجماعات، ويقف متفرجا في مسيرة الحق التي تحتاج الى انصار واتباع.

ان هذا التطرف لا يستند الى رؤية شرعية، ولا يملك مبررا شرعيا، ان هناك فرقا بين اخلاقية(التحزب الفئوي) وبين اخلاقية (الانتماء السياسي)، ان اخلاقنا الاسلامية تقبل (الانتماء السياسي) ولكنها ترفض (الفئوية السياسية).

ونحن نضع قضية الوحدة كواحدة من القضايا المهمة والاساسية في تحديد انتمائنا السياسي، فنحن ندافع ونوالي وننتمي الى ذلك العنوان وتلك الفئة التي يهمها توحيد الامة، وتعبئة طاقات الجمهور

---

[١]) سورة التوبة: ٣١.

كافة، على اساس من الحق وسعة الصدر، والتطابق الكامل مع النظرية الاسلامية في التحرك.

الموقف من النصوص

ان الفهم الشيعي لقضية الوحدة يستند الى معالجة شمولية ودقيقة للنصوص والمواقف الشرعية في المسألة.

الوحدة ــ من وجهة نظر اسلامية دقيقة ــ لم تكن يوما ما هدفا، او معتقدا بمقدار ما هي اداة لتحقيق الهدف.

اما الهدف فهو اقامة القسط والشهادة لله **[كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ]**[1] الهدف في الاسلام هو **[ان تقوموا لله]**[2]، ومن اجل هذا الهدف يجب توحيد الامة، وتوحيد الجهود، وتعبئة الطاقات كلها.

الوحدة تستمد قيمتها وموقعها واهميتها من مدى تأثيرها في تحقيق الهدف، وذلك ما نقرؤه واضحا في قوله تعالى: **[أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ]**[3].

المطلوب اذن هو الوحدة في اقامة الدين، وتعاضد الايدي وتعاونها على البر والتقوى كما قال: **[وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ**

---

[1]) سورة النساء: ١٣٥
[2]) سورة السبأ : ٤٦
[3]) سورة الشورى: ١٣

وَالتَّقْوَى][1]، على اساس ذلك جاءت نصوص اهل البيت(ع) تدعو للوحدة حينما تكون لصالح الدين، ولصالح الجماعة الاسلامية، وترفض الوحدة حينما تكون لصالح المتسلطين على الدين والامة، هذا هو ما نلاحظه في دعاء الامام السجاد(ع) المعروف بدعاء (مكارم الاخلاق) حينما يسأل الله التوفيق لدوام الطاعة ولزوم الجماعة قائلا: (وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة، ولزوم الجماعة)، فانه سرعان ما يكمل الصورة المطلوبة، ويرسم الركن الثاني لمفهوم الوحدة فيقو: (ورفض أهل البِدَع، ومستعملي الرأي المخترع)، الامر الذي يعني ان الرغبة في الاتحاد مع الجماعة يجب ان لا تكون على حساب الحق، وتمشيا مع اهل البدع.

وهو ما اكده الامام (ع) مرة ثانية بالقول: (والقول بالحق وان عزَّ، والصمت بالباطل وان نَفَع).

فالصدع بالحق ورفض الباطل هو احد المعالم المهمة في شخصية المؤمن.

ولذا طرح اهل البيت(ع) انفسهم محورا للوحدة، واعتبروا اتباعهم واصحابهم هم جماعة الحق، واصحاب الكلمة التامة، وذلك ما نقرؤه في الزيارة الجامعة الكبيرة الواردة عن الامام الهادي(ع) حين يقول: (بكم تمت الكلمة، وائتلف الفرقة).

---

[1]) سورة المائدة: ٢

وحينما جاءت الاحاديث الشريفة عن رسول الله(ص) تقول: (يد الله مع الجماعة)، رأينا اهل البيت(ع) يفسرون ذلك كما يقول الامام علي(ع) حين سئل عن ذلك: (الجماعة والله مجامعة اهل الحق وان قلوا، والفرقة مجامعة اهل الباطل وان كثروا)[١].

وهذا هو ما قاله الامام الصادق(ع) عن رسول الله(ص) انه قال: (جماعة امتي اهل الحق وان قلوا)[٢].

---

[١]) ميزان الحكمة ـ باب الجماعة ـ ج ٢.
[٢]) نفس المصدر السابق.

الموضوع العاشر

المناورة السياسية

لغة الحوار السياسي حينما يكون لدينا حوار، ولغة الخطاب السياسي حينما يكون لدينا خطاب هل يجب ان تكون لغة واحدة ولهجة واحدة ومضامين واحدة سواء كنا نتحاور مع صديق او مع عدو وسواء كان خطابنا السياسي موجهاً للجمهور او موجها للمجتمع الدولي او موجها للعدو؟

ماذا يقول الإسلام في هذا الشأن؟ وما هي أخلاقنا السياسية في هذا الموضوع؟

السياسة النفعية لا تضع حدوداً للحوار السياسي او الخطاب السياسي فالمهم عنده، كسب المعركة السياسية بأية طريقة وبأية لغة، ولا مانع ان تستخدم الكذب والاتهام ونقض العهود وكشف الاسرار من اجل ان تربح الموقف النهائي.

اما أخلاقنا السياسية في الإسلام فإنها ترفض ذلك طبعا، ولكن حينما ترفض ذلك هل تضع صيغا جامدة للحوار والخطاب، ولا تقبل باي من اشكال التنوع في اللغة؟

كيف نتعامل مع الأطراف المتعددة للحوار؟

وكيف نتعامل مع مستويات المخاطبين المختلفة؟

فهل يصح ان نتعامل مع الصديق بنفس اللغة التـــي نتعامــل بهــا مـــع العدو؟

وهل نخاطــب جمهــور النـــاس بـــنفس اللغـــة التـــي نخاطــب بهــا المحترفين السياسيين؟

طبعا لا، لأن كل واحد يجب أن نكلمه باللغـــة التـــي يفهمهـــا، وباللغـــة التي تكون أقدر على التأثير، وهذا هو ما اكدتـــه اخـــلاق الانبيـــاء حينمـــا قالوا: (نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلــم النـــاس علـــى قـــدر عقـــولهم) كما جاء في الحـــديث عـــن رســـول الله(ص) [1] هـــذا التعـــدد فـــي لـــون الخطاب، واســـلوب الحـــوار هـــو مـــا يـــصطلح عليـــه بــــ (المنـــاورة السياسية).

ولكن المناورة السياسية في الاسلام تختلــف عـــن المنـــاورة الـــسياسية في المذاهب النفعية الاخرى.

[1] ميزان الحكمة ـ ج ٢

حدود المناورة السياسية

المناورة السياسية في الإسلام تخضع لمجموعة حدود يمكن ان نستعرض اهمها:

1. اجتناب الكذب
2. اجتناب هتك المؤمن
3. حفظ الاسرار
4. الالتزام بالعهود والمواثيق
5. الجدال بالتي هي احسن
6. عدم الثقة بالعدو
7. الصدق في النصيحة
8. مراعاة مستوى السامعين
9. قبول الحق والقول بالحق ولو على النفس.
10. الاعتراف بالخطأ وعدم الاصرار عليه.
11. اجتناب المكر والخديعة
12. اجتناب السباب والشتم.
13. اجتناب الغيبة
14. الابتعاد عن الفتنة والنميمة.
15. الابتعاد عن المراء والخصومة.

لعل هذه هي أهم الحدود التي وضعها الاسلام في مجال تعاطي العمل السياسي مع الآخرين.

وان كتب الاخلاق الاسلامية مليئة بالنصوص الشريفة في هذه العناوين ولذا فقد لا نحتاج الى استعراضها في هذه الدراسة الموجزة، ويمكن القارئ مراجعتها في كتب مثل اصول الكافي وميزان الحكمة وغيرها.

القيم الاخلاقية مطلقة

ان ما نريد التأكيد عليه هو خطأ التصور القائل اننا من اجل نجاح مساعينا، وتحقيق اهدافنا لا مانع ان نتجاوز تلك الحدود الاخلاقية!

وسواء كنا نتعامل مع الجماعات الاسلامية او الجماعات غير الاسلامية، ففي كل الاحوال يجب ان يخضع تحركنا السياسي للحدود الاخلاقية المؤكدة في الشريعة الاسلامية.

وحتى حين نتعامل سياسيا مع غير المسلمين دولا، او منظمات، او شعوبا وافرادا فان اخلاقية الصدق والاحسان، والوفاء والقول بالحق، واجتناب الغدر وغيرها مما سبق ذكره يجب ان تكون هي الحاكمة على مسيرة تعاطينا السياسي، مهما كان الطرف الذي نتعامل معه.

ولعل من المفيد ان نستذكر هنا قوله تعالى: **[لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]** [1]

فالبر والقسط هما سلوكان يحبهما الله تعالى أيا كان الطرف الآخر مسلما او كافرا، فأولئك الذين لم تكن بيننا وبينهم معركة، ولا كان لهم عدوان سابق علينا يجب ان نتعامل معهم على اساس من تلك القيم الاخلاقية التي يحبها الله تعالى ويريدها في عباده الصالحين.

المناورة مع العدو

جاء في الحديث عن الإمام الحسن بن علي (ع) حين سئل عن العقل أنه قال: (التجرع للغصة، ومداهنة الأعداء) [2] ومثله ما جاء عن الإمام الرضا(ع) حين سئل عن العقل ايضا فقال: (التجرع للغصة، ومداهنة الأعداء ومداراة الأصدقاء) [3] وهذا يعني ان استخدام الأساليب السياسية والمراوغة مع العدو هي مسألة لا حراجة فيها.

ثلاث حالات: ـ

وإذا اردنا ان ندخل الموضوع بشكل اوسع قلنا: ان هناك ثلاث حالات يدعو فيها الاسلام للمناورة واختيار الخطاب المناسب للهدف حتى اذا لم يكن معبّراً بشكل كامل عن الحقيقة دون ان يكون مخالف لها.

---

[1]) سورة الممتحنة: ٨.
[2]) ميزان الحكمة ـ ج ٣ ـ باب المداهنة.
[3]) المصدر السابق.

أولها: حالة التعامل مع العدو من أجل دفع ضر والغلبة عليه، فحينما يشكل العدو خطراً علينا ويتجاوز كل القيم الاخلاقية بعدوانه علينا فان المنطقي جدا ان ندفع خطره باستخدام الحيلة والمكر والخديعة حينما يضطرنا اليها.

وثانيها: حالة الاصلاح بين المؤمنين.

وثالثها: محاولة التحبّب الى الاهل وكسب ودّهم وادخال السرور عليهم حيث يجوز ان تقدم لهم بعض الوعود ليس على اساس الخداع والاغراء وانما على سبيل الاحسان والتودد.

جاء في الحديث عن الإمام الصادق(ع): (كل كذب مسؤول عنه صاحبه يوما الا كذبا في ثلاثة: رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه، او رجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما، او رجل وعد اهله شيئا وهولا يريد ان يتم له)[1].

وهنا يقول العلامة المجلسي(قده): (اعلم ان مضمون الحديث متفق عليه بين الخاصة والعامة).

---

[1]) انظر الخصال ، للشيخ الصدوق، باب الثلاثة.

الموضوع
الحادي عشر

التشاور

اذا كانت الــشورى بمعنـــى المــشاورة مهمّـــة ــ كمـــا جـــاء التأكيـــد عليها في الفكر الاسلامي ــ فانها ســتكون اكثــر اهميـــة فـــي الــشؤون السياسية التي تؤثر على مــسيرة الحيـــاة الاجتماعيـــة كلهـــا ولا يقتـــصر تأثيرها على مسيرة الفرد نفسه.

الأمر الــذي يعنـــي أنّ (التـــشاور) هـــو مـــن المنـــاهج المهمـــة فـــي الأخلاق السياسية، وبخاصـــة اذا لاحظنـــا أنّ الآيتـــين النـــازلتين بـــشأن الشورى في القرآن الكريم إنما نزلتا في شـــأن مـــن الـــشؤون الـــسياسية، وهما قوله تعـــالى: **(وَأَمْـــرُهُمْ شُـــورَى بَيْـــنَهُمْ)**[1] وقولـــه تعـــالى خطابـــاً لنبيّه(ص): **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)**[2]

وإذ لم نكن بحاجة ــ هنا ــ لتناول أصـــل الموضـــوع بالبحـــث فـــإن ما يهمنا ان نقف عنده هو مجموعة نقاط:

أولا: الشورى منهج أخلاقي

حينما يؤكد الفكـــر الإســـلامي علـــى الـــشورى فإنمـــا يؤكـــد عليهـــا باعتبارها أدباً سلوكياً، ومنهجاً أخلاقيا في عمليـــة اتخـــاذ القـــرار ولـــيس باعتبارها نظاماً للحكم الإسلامي، أما نظـــام الحكـــم فـــي الإســـلام فهـــو

---

[1]) سورة الشورى : ٣٨
[2]) سورة آل عمران: ١٥٩

يعتمد على نظرية الإمامة والإمام الذي يتمتع بصلاحية اتخاذ القرارات النهائية دون أن يخضع للأكثرية، رغم انه مكلف بممارسة التشاور باعتباره منهجا مهما في الأخلاق السياسية في الإسلام.

ثانيا: مع من نتشاور؟

وحينما يكون التشاور أمراً مطلوبا في أخلاقنا السياسية فإن المهم جداً أن نعرف مع من نتشاور؟

حيث تؤكد النصوص الشريفة على أهمية اتصاف المستشار بالخبرة، والتقوى، والإخلاص، والشجاعة، كما نهت النصوص الشريفة عن التشاور مع الجبان، والساذج والأحمق، والكذّاب فالتشاور ليس أمراً شكلياً يراد اجراؤه على كل حال.

وإنما التشاور هو محاولة لاكتشاف الرأي الأكثر صواباً ورجاحة مما يعني ضرورة ملاحظة مجموعة مواصفات فيمن نستشيره تؤهله لتنضيج الرأي.

وفي هذا الضوء سيكون ذوو الخبرة، اصحاب الاختصاص، وعلماء الدين المتصدون للشأن السياسي والمجتمعة فيهم الصفات المطلوبة هم اولى بالتشاور معهم، والسؤال منهم، وهذا هو ما جاء التأكيد عليه بشكل واسع جداً في الروايات الشريفة التي لم تخص السؤال من الفقهاء بالشؤون الفقهية، وإنما طرحته في مجاله الواسع.

ثالثا: يجب أن لا نمنع المبادرة:

وبمقدار ما نؤكد في (أخلاقنا السياسية) على التشاور نؤكد على المحافظة على التوازن بين التشاور والمبادرة وسرعة العمل واتخاذ المواقف الميدانية.

ان روح الاقدام، والشجاعة في اتخاذ المواقف، واداء الفعل المطلوب في الوقت المناسب هي امور يجب ان لا تتراجع وتتحول الى التردد والحيرة.

ان التشاور له ميدانه في تكوين الخطوط العريضة للعمل والاتجاه العام في المسير، اما المواقف التفصيلية المتروكة للعاملين ووفقا لنفس تلك الخطوط والاتجاهات فان المؤمن المتصدي للعمل يجب ان يتمتع بشجاعة كافية، وشخصية واثقة تدعوه لترجمة قناعاته في مواقف ميدانية.

ان (اخلاقنا السياسية) كما تدعو للابتعاد عن (الفوضوية) في المواقف و(الانفرادية) في العمل و(الاستبدادية) في الرأي كذلك تدعو للشعور بالمسؤولية، وامتلاك الشجاعة الأخلاقية للإقدام، وعدم التهيب الذي يشلّ حركة الفرد وفاعليته.

رابعا: التأمل الذاتي:

وإلى جانب التأكيد على التشاور جـاء التأكيـد علـى اطالـة الفكـر، وبعد النظـر، وتقليـب وجـوه الآراء لمعرفـة صـحيحها مـن سـفيهها وغثها من سـمينها، وهكـذا يجـب ان تتنـامى فـي شخـصية المـؤمن أخلاقية التأمل الذاتي إلى جانب أخلاقية التشاور مع الآخرين.

وما أروع كلمة الإمام علي (ع) حين قـال: (اضـربوا بعـض الـراي ببعض يتولد منه الصواب)[1] ، وقال: (امخـضوا الـرأي مخـض الـسقاء ينتج سديد الآراء)[2]، ان التربية الاسـلامية تهـدف الـى بنـاء شخـصية واعية ونظرة ثاقبة لدى الإنسان المـؤمن تجعلـه قـادرا علـى اكتـشاف مواقع الحق والصواب من خلال التشاور والتأمل معاً.

وعلى ذلك ستكون خاصيَّة التأمل الـذاتي، هـي احـد الخـصوصيات التي تميز الإنسان المؤمن الرسالي.

---

[1]) ميزان الحكمة ـ باب الراي ـ ج٤.
[2]) المصدر السابق.

الموضوع
الثاني عشر

التوازن
بين الوضوح والكتمان

اخلاقية كتمان السر

لا شكّ أن أخلاقيّة كتمان السر هـي أخلاقيّة مؤكّدة في الإسلام وهي قضيّة لا يختلف في أصلها مذهب عن مذهب أو جماعة سياسيّة عن جماعة أخرى.

وقد كانت التأكيدات الإسلامية على هذه الأخلاقية بدرجة أن اعتبرتها من أخلاق الله تعالى، وأن الإيمان لا يكتمل إلا بها.

جاء في الحديث الشريف عن الإمام الرضا(ع): (لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث خصال: سُنّة من ربِّه، وسنَّة من نبيه، وسنَّة من وليه، فالسّنة من ربه كتمان سرّه، واما السّنة من نبيه فمداراة الناس، واما السّنة من وليه فالصبر على البأساء والضراء)[1].

ونحن لا نريد ان نتحدث عن هذه الخصلة الاخلاقية (كتمان السر) في اطارها العام الذي يستوي فيه الجميع، وانما نريد ان نعرف مدى تطبيقات وانعكاسات هذا المبدأ على طريقنا ومنهجنا في العمل السياسي، فاذا كنا نؤمن بهذا المبدأ فهل يعني ذلك ان نتحول في طريقة عملنا الى منهج الاحزاب السرية؟

---

[1]) اصول الكافي ـ ج ٢ ـ باب كتمان السر.

واذا كنا نرفض ذلك فهل يعني اننا سنكون مكشوفين تماما امام العدو حيث لا اسرار نحفظها، ولا معلومات خاصة نكتمها، فنكون عرضة للاختراق؟ هذا هو ما نريد بحثه في هذه المفردة الاخلاقية من (أخلاقنا السياسية).

أسرار اهل البيت (ع)

ومما يلاحظ في النصوص الواردة عن اهل البيت(ع) هو التأكيد على هذه الخصلة واعتبارها من اهم مميزات الجماعة الشيعية، بل هي ركن من اركان التشيع الحقيقي لاهل البيت(ع).

فقد جاء في الحديث الشريف عن الامام الباقر(ع) : (والله إن أحب اصحابي اليَّ أورعهم، وأفهمهم، واكتمهم لحديثنا). بينما جاء عن الامام الصادق(ع) قوله: (ليس هذا الامر معرفته وولايته فقط، حتى تستره عمن ليس من اهله، وبحسبكم ان تقولوا ما قلنا، وتصمتوا عما صمتنا).

وجاء ايضا عن الامام الصادق(ع): (من اذاع علينا حديثنا فهو بمنزلة من جحد حقنا).

حيث يبدو من هذه النصوص ان المسألة أعمق مما هي في عموم التأكيدات الإسلامية على كتمان السر، بل إن (كتمان السر) هو خاصة من خصائص الشيعة بالذات، فما هو المقصود بهذه الأسرار؟

ان الأسرار الشخصية، والعائلية، واسرار الاصدقاء والاخوان واسرار المجالس يشترك كل المسلمين في ضرورة كتمانها والحفاظ عليها، فما هو الذي تختص به جماعة الشيعة من أتباع اهل البيت(ع)؟ اين تتمحور هذه السرية المطلوبة؟ هل في الأفكار والمعتقدات، ام في الأنشطة والفعاليات؟ هل يجب ان تكون افكارنا سرية أم يجب ان تكون فعالياتنا سرية؟ وهل نقبل ان نكون منظمة او مجموعة سرية؟

بعض النصوص تذكر عنوان كتمان(حديثنا) وبعضها تذكر عنوان كتمان (امرنا) مما يدعونا للقول ان السرية تتوزع على محورين: محور الافكار وهو المقصود بـ (حديثنا) ومحور الفعاليات وهو المقصود بـ (أمرنا)، ولكن السرية في هذين المحورين لم تكن تعني ابدا تحول الفكر الشيعي الى فكر سري، ولا تحول حركة التشيع الى حركة سرية، بل لقد ظل التشيع واضحا في افكاره، واضحا في حركته، فالمكتبات الاسلامية امتلأت بتفاصيل وجزئيات الفكر الشيعي دون أي غموض ودون أي كتمان، كما ان ساحة المجتمع الاسلامي شهدت بكل علانية ووضوح حركة اهل البيت(ع) واتباعهم الى يومنا هذا.

حالات الكتمان المطلوبة

لم تكن الدعوة لكتمان امرهم وحديثهم(ع) دعوة مطلقة وانما هناك عدة حالات هي التي دعا فيها اهل البيت(ع) شيعتهم الى كتمان حديثهم وأمرهم:

الحالة الاولى:

حينما يكون الطرف الآخر غير مؤهل لتلقي الأفكار الخاصة، او لا يكون ظرف الحوار مشجعا على طرحها، من قبيل طرح الافكار الخلاقية التي تشنج الطرف الاخر بينما تكون الساحة بحاجة الى الوحدة معه في الموقف.

الحالة الثانية:

حينما يكون التحرك المذهبي مرصودا من قبل اعداء المذهب او السلطان الجائر ومدعاة لاثارة غضبه وتشديد ملاحقته للمذهب وزعمائه، ولذا جاءت نصوص عديدة تنهى عن دعوة الناس لمذهب اهل البيت(ع)[1] والمقصود هو في مثل هذه الحالات.

الحالة الثالثة:

حينما يكون الحديث عن الاسرار حديثا بهدف الالتواء على القرار، وبحثا عن فرص التخلص منه والتمرد عليه كما هو في قصة سؤال بني اسرائيل عن لون البقرة التي أمروا بذبحها.

فيما عدا هذه حالات فقد كانت حركة الأئمة من اهل البيت(ع) مفتوحة على الامة بشكل واضح في مضمونها العام كما كان فيها

---

[1]) راجع اصول الكافي ، ج ٢ / باب ترك دعاء الناس.

بعض الامور والمواقف تتسم بالسرية حسب الظروف والملابسات التي تمر بها الجماعة ولذا تتحول بعض هذه الامور السرية إلى علنية في ظرف آخر.

وبهذا تفترق هذه الحركة عن الحركات الباطنية التي تتسم بالسرية في بعض مضامينها وتختص بالنخبة دون أن تسمح بخروجها إلى خارج اطار الجماعة.

وهكذا هو الفهم القرآني لحركة الأنبياء (ع) كلهم، فهناك وضوح في الشخصية، والأهداف، والتحرك، هذا الوضوح يمثل منهجا في حركة الأنبياء والائمة (ع) كما يمثل منهجا في حركة علماء الدين والمرجعيات الدينية الشيعية على طول الخط.

حركتنا يجب أن تكون واضحة للأمة

واذا كنا في منهجنا السياسي نحاول اتباع الائمة الاطهار (ع) ونلتزم الاخلاقية السياسية لخط الولاية فان حركتنا يجب ان تكون واضحة للامة.

هذا الوضوح يتمثل في عدة محاور:

١. الوضوح في القيادة على مستوى ابناء الجماعة الصالحة على الاقل.

٢. الوضـــوح فـــي الشخـــصيات الـــسياسية القياديـــة وســـلوكهم الاجتماعي العام.

٣. الوضوح في منهجية العمــل واعتمـــاد ذات المنـــاهج والمؤســـسات التي اقرها واسسها الاســـلام واعتبارهـــا هـــي المحـــاور الحقيقيـــة لبنـــاء الامة بدلا من اعتبارها واجهات للحركة.

فالمسجد والحسينية والمكتبـــة الاســـلامية والحـــوزة العليمـــة وعلمـــاء الدين ومراجع المسلمين ليست هـــي واجهـــات نختبـــىء وراءهـــا وانمـــا هي المراكز الحقيقيـــة فـــي بنـــاء الامـــة وقيـــادة مـــسيرتها ولابـــد مـــن اعتمادها واصلاحها عندما تتعرض للفساد.

ان حركة المرجعيات الدينية الرشـــيدة اتـــسمت بهـــذا الوضـــوح فـــي كل مراحلها وحتى في ساعات منازلتها الـــسياسية الـــصعبة ولـــم تتحـــول ابدا الى حركات سرية، ولم يكن ذلـــك اتفاقـــا وانمـــا كـــان مـــن رؤيـــة واضحة لمنهج الانبياء والائمة (ع) في العمل.

هكذا يجب ان تكـــون حركتنـــا مـــع الامـــة، وهكـــذا هـــي اخلاقيتنـــا السياسية في هذا المجال، وهذا هو الفـــرق بـــين مـــنهج اهـــل البيـــت(ع) في العمل السياسي وبـــين المنـــاهج التـــي اختطتهـــا بعـــض الجماعـــات الباطنية.

كتمان اسرار العمل

وحينما ندعو الى الوضوح في حركتنا فان ذلك لا يلغي اهمية كتمان السر فيما هو سر، وما يجب ان يبقى سرا.

ومن هنا فانا نعتقد من الناحية الشرعية بعدة امور:

١ــ حرمة كشف اسرار العمل.

٢ــ حرمة كشف اسرار العاملين الآخرين.

٣ــ حرمة التجسس والاطلاع على اسرار الآخرين.

٤ــ حرمة هتك الآخرين في ممارستنا النقدية والاعلامية.

٥ــ حرمة اذاعة أي حديث خاص لان (المجالس بالامانات) كما جاء في النصوص الشريفة.

ان المؤمن لا يمكن ان يتجاوز حدود هذه الحرمات، ويبتدع مبررات تسمح له بهتك الاخرين، وكشف اسرارهم، او نقل احاديثهم الخاصة، او يتسامح في نقل اسرار عمله السياسي للآخرين.

ان علينا ان نحافظ على حالة التوازن بين الوضوح في عملنا ومنهجنا وبين كتمان اسرار العمل.

الموضوع
الثالث عشر

سعة
الصدر والمداراة

لم ترد كلمة (الاستيعاب) في النصوص الاسلامية، رغم ان كلمة (سعة الصدر) جاءت في بعض النصوص كما في النص الوارد عن امير المؤمنين(ع) القائل: (آلة الرئاسة سعة الصدر)[1].

الا ان نصوصا عديدة جاءت لتؤكد الفكرة نفسها بعبارات مختلفة ومجالات متعددة.

ما هو المقصود بالاستيعاب؟

المقصود بـ (الاستيعاب) هو التمتع باخلاقية عالية في جذب الآخرين والنفوذ الى قلوبهم بهدف التأثير عليهم واستثمار طاقاتهم للعمل الاسلامي.

ويقابل ذلك حالة الغلظة والفظاظة والجفاف التي تساهم في طرد الآخرين وابتعادهم وتفرقهم عن محور التحرك.

تأكيدات النصوص الشريفة:

ولما كانت هذه الاخلاقية (الاستيعاب) على ارض الواقع مهمة جدا في نجاح العمل السياسي وتطوره وتكامله ـ كما هو ثابت

---

[1]) نهج البلاغة ـ قصار الكلمات

للجميع ــ وكان الاسلام واقعيا في طرحه ومعالجاته، وجدنا التأكيدات الكثيرة جدا على هذه الاخلاقية ، والدعوة لتحلي العاملين بها.

وحيث كانت طريقتنا في هذه الدراسة هي الاكتفاء بالاشارة فقط وليس استعراض النصوص بشكل مكثف لذا نكتفي هنا بالاشارة الى نماذج من تلك النصوص.

فلقد اعتبرت بعض النصوص الشريفة هذه الاخلاقية عهدا مأخوذا على جميع الانبياء (ص) يمشي جنبا الى جنب مع مهمتهم الرسالية الكبرى، وهذا ما نلاحظه في باب (المداراة) وهي لون من الوان الاستيعاب، حيث يقول الحديث الشريف عن رسول الله(ص): (أمرني ربي بمداراة الناس كما امرني باداء الفرائض)[1]، وهي فرض على جميع الانبياء كما جاء في الحديث الشريف النبوي الشريف: (أمرني ربي بمداراة الناس كما امرني بأقامة الفرائض)[2]، وهي نصف الايمان كما قال رسول الله(ص): (مداراة الناس نصف الايمان)[3]، وهي علامة من علامات الايمان، وشرط من شروط التشيع الحقيقي لاهل البيت(ع) والارتباط بهم في المذهب كما جاء في الحديث عن الامام الصادق(ع) في التأكيد على بعض مفردات

---

[1]) الكافي ج٢ ، ص ١١٧ ، ج٤، وانظر جميع هذه النصوص في كتاب (ميزان الحكمة)، باب المداراة.
[2]) الامالي للطوسي ، ص ٤٨١، ح ١٠٥٠
[3]) الكافي ، ج ٢، ح ٥، ص ١١٧

هذه الاخلاقية حيث قال: (يا شيعة آل محمـــد، انـــه لـــيس منـــا مـــن لـــم يملك نفسه عند الغضب، ولم يحسن صحبة مـــن صـــحبة، ومرافقـــة مـــن رافقه، ومصالحة من صالحه، ومخالقة من خالقه)[1].

وقال امير المؤمنين(ع): (المؤمن مـــألوف، ولا خيـــر فـــيمن لا يـــألف ولا يؤلف)، وقال رســـول الله(ص): (يـــا بنـــي عبـــدالمطلب، انكـــم لـــن تسعوا الناس باموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر).

والاحاديث الشريفة في التأكيد علـــى هـــذه الـــصفة (روح الاســـتيعاب) كثيرة جدا تجدها في ابواب مختلفـــة متعـــددة مـــن كتـــب الحـــديث مثـــل باب(حسن المعاشرة) و(التودد الى النـــاس) و(مـــداراة النـــاس) و(صـــفات الشيعة) و(علامات المؤمن) وغيرها.

والقرآن الكريم حينما تحدث عـــن اخـــلاق النبـــي(ص) تحـــدث عـــن هـــذه الـــصفة بـــالقول: (**وَإِنَّـــكَ لَعَلَـــى خُلُـــقٍ عَظِـــيمٍ**)[2]، لان اخلاقيـــة (الاستيعاب) هي عبارة عن مجمـــع لكـــل الـــصفات الاخلاقيـــة الحـــسنة التي تكسب مودة الناس وحبهم وقربهم.

وقد امر الله تعالى نبيـــه بالتواضـــع والتبـــسط مـــع المـــؤمنين بهـــدف اســـتيعابهم وجـــذبهم بـــالقول: (**وَاخْفِـــضْ جَنَاحَـــكَ لِمَـــنِ اتَّبَعَـــكَ مِـــنَ**

---

[1]) الكافي، ج ٢، ص ٦٣٧، ح٢

[2]) سورة القلم: ٤.

الْمُؤْمِنِينَ)[1]، بمعنى انه مفتوح على الجميع، ويستمع من الجميع، وانه لا يتعالى عليهم، ولا ينفصل عنهم.

آلة الاستيعاب

حينما نتحدث عن (الاستيعاب) واهميته في أخلاق العمل الاسلامي فان ما سيواجهنا بالدرجة الاولى هو تشخيص ادوات الاستيعاب ومفردات التحرك الصحيح في العملية، ذلك ان الاستيعاب مفهوم واسع ينطبق على ممارسات عديدة في التحرك قد يقع بعضها في دائرة الصواب وبعضها في دائرة الخطأ قياسا الى الاهداف المقصودة للحركة ومدى الاقتراب من تحقيقها.

فهل حدد الاسلام آلية خاصة، وادوات واضحة للاستيعاب ام ترك المسألة الى مذاقات العاملين وامزجتهم واخلاقياتهم الذاتية؟

لا شكّ انّ هناك بعض الممارسات والادوات المحرمة في كسب الناس من قبيل ما كان فيه مخالفة للشريعة، وارتكاب لبعض المحرمات، او التصرف غير الشرعي بأموال المسلمين، أو محاولة التقرب اليهم من خلال التنازل عن المبادئ الشرعية، كما يشير اليه القرآن الكريم بالقول: **(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)**[2] وعلى ذلك فان من

---

[1]) سورة الشعراء: ٢١٥.
[2]) سورة القلم: ٩.

المهم ان نعرف ما هي الادوات الشرعية وما هي الأدوات غير الشرعية التي نستخدمها في استيعاب الناس وجذبهم.

ومن ناحية ثانية فإن سعة الصدر وروح الاستيعاب يجب ان لا تكون على حساب القيم الاسلامية والاخلاقية، كما ان الالتزام بالقيم يجب ان لا يتحول الى تزمت على حساب الاستيعاب.

وهكذا نعرف ان هناك تطرفا قد يقع فيه العامل للإسلام، تطرفاً اما الى جانب الافراط والتشدد في التزام القيم والمبادئ واما الى جانب التفريط بتلك القيم والمبادئ.

ولكن المطلوب هو الحالة المعتدلة والمتوازنة التي تجمع كلتا المهمتين، مهمة الدفاع عن القيم والحرص عليها، ومهمة الحرص على جذب الناس واستيعابهم.

وهنا يحتاج العاملون للإسلام الى دقة بالغة، ومعرفة كاملة بالرؤية والموقف الإسلامي الصحيح في كل مسألة.

وقد لاحظنا في التاريخ الاسلامي حالات كثيرة من التطرف سواء الى هذا الجانب او الى ذلك الجانب، بينما مثل الائمة من اهل البيت(ع) الحالة المتوازنة والمعتدلة.

موانع الاستيعاب

الشريعة الاسلامية ذكرت مجموعة أمور يمكن ان نصطلح عليها بـ (موانع الاستيعاب) ولذا فقد جاء النهي عنها والأمر بالتحلي بالصفات المضادة لها، وفيما يلي نشير الى اهم تلك الموانع:

١. كثرة العتب: قد يكون العتب مطلوبا احيانا بهدف اصلاح المسير او تلافي الاخطاء، ولكن كثرة العتب ـ وحتى فيما هو حق ـ تفسد المودة، وتؤدي الى النفرة.

قال أمير المؤمنين(ع) : (احتمل أخاك على ما فيه ولا تكثر العتاب فانه يورث الضغينة) وقال (ع) ايضا: (لا تكثر العتب في غير ذنب)[1].

٢. تتبع العيوب: ملاحقة عيوب الآخرين، وتتبع عثراتهم، وابراز اخطائهم، بدلا من الانشغال باصلاح النفس، والنظر في عيوبها هو احد موانع الاستيعاب التي تفسد المودة.

على ان ذلك لا يعني الاغماض عن العيوب دائما، بل قد ورد في الحديث الشريف عن الامام الصادق(ع): (احب اخواني الي من

[1]) تحف العقول ـ باب ما روي عن الامام علي(ع).

اهدى عيوبي الي)[1] وانما المقصود هو تتبع العيوب وملاحقتها في الآخرين.

لذا فقد ورد في الحديث الشريف عن الامام علي(ع): (من تتبع خفيات العيوب حرمه الله سبحانه مودات القلوب)[2].

وجاء عنه (ع) ايضا: (من استقصى على صديقه انقطعت مودته)[3].

٣. سوء الظن: جاء في الحديث الشريف عن الامام علي(ع): (لا يغلبن عليك سوء الظن فانه لا يدع بينك وبين صديق صفحا)[4] على ان النهي عن غلبة سوء الظن لا يعني الطمأنينة المطلقة للآخرين في مجالات العمل، والاسترسال مع العاملين دونما حيطة ومراقبة ومحاسبة، ولذا فقد جاء في الحديث عن الامام علي(ع) ايضا: (ابذل لصديقك كل المودة، ولا تبذل له كل الطمأنينة)[5].

اننا نستطيع ان نصف ما هو المطلوب في اخلاقنا السياسية لدى التعامل مع الآخرين بعبارة (الثقة والاعتماد) فلا الطمأنينة المطلقة

---

[1]) بحار الانوار ـ ج ٧٤ ـ ص ٢٨٢
[2]) ميزان الحكمة ـ ج٧ ـ باب العيوب.
[3]) ميزان الحكمة ـ كتاب الصداقة ـ ج٥.
[4]) المصدر السابق.
[5]) ميزان الحكمة ـ كتاب الصداقة ـ ج٥.

صحيحة ولا غلبة سوء الظن، انما هي الثقة والاعتماد الذي يجتمع معه المراقبة وتوقع الخطأ.

٤. كثرة المناقشة: ورد عن الإمام علي(ع) قوله:(من ناقش الأخوان قَلَّ صديقه)[١]، والمقصود طبعا هو ان تغلب حالة الجدل والمراء واللجاجة في البحث والحوار، وفي كل صغيرة وكبيرة، وشاردة وواردة.

وقد ورد ايضا عن الإمام الهادي(ع) قوله: (المراء يفسد الصداقة القديمة)[٢].

والمسألة لا تختص بالقضايا الفكرية والعملية، انما كثرة المناقشة في جزئيات العمل وتفاصيله هي مدعاة للفرقة والتباعد.

---

[١]) المصدر السابق.
[٢]) ميزان الحكمة ـ ج ٥ ـ باب ما يفسر الصداقة.

الموضوع الرابع عشر

الغضب للّه تعالى

والحميّة للدين

(الغضب لله) و(الحمية للدين) و(التعصب للحق) هي مفاهيم جاء التأكيد عليها في مجال البناء الذاتي للإنسان المؤمن، وبخاصة في نصوص اهل البيت(ع) وهم بصدد بناء شيعتهم وأتباعهم بناءا اخلاقيا وسياسيا.

وهي خصائص اخلاقية تعبر عن الولاء لله تعالى وتشكل الخلفية النفسية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما من الفرائض الواجبة في الإسلام على جميع المؤمنين.

الأحاديث الشريفة

ونحن نلاحظ ان الاحاديث الشريفة لم تكتف بالدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانما سعت الى بناء الحالة النفسية لدى المؤمن تدعوه للإندفاع الذاتي والقوي نحو ممارسة فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويجدر هنا ان نقرأ شيئا يسيرا من تلك النصوص.

يقول الإمام علي(ع): (من أحدّ سنان الغضب لله، قوي على قتل اشداء الباطل)[١] وكان (ع) يؤنب اولئك الذين تفرقوا عن نصرة

[١]) ميزان الحكمة ـ ج ٧ ـ باب الغضب.

الحق قائلا: (اما دين يجمعكم ، ولا حمية تشحذكم)[1]، وجاء في الحديث عن أحد الصادِقَين[2] (ع): (لم يدخل الجنة حميّة غير حمية حمزة بن عبدالمطلب)[3] وذلك حين أسلم غضبا للنبي(ص) في حديث السلا الذي ألقي على النبي(ص)).

صفة حزب الله

واذا لاحظنا الآية القرآنية في صفة حزب الله فإننا نجد هذه الصفة هي المقياس الأخلاقي في الاتصاف بعنوان حزب الله، يقول الله تعالى: **[لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]**[4]، ان الرفض والمقاطعة والابتعاد النفسي والقلبي من أعداء الله ورسوله هي الخصوصية النفسية المهمة في حزب الله، وهي تعبير آخر عن معنى الغضب الله، والحمية للدين، والتعصب للحق.

---

[1]) ميزان الحكمة ـ ج ٧ ـ باب الغضب.
[2]) وهما الامام محمد الباقر والامام جعفر الصادق (ع).
[3]) ميزان الحكمة ـ ج ٦ ـ باب العصبية.
[4]) سورة المجادلة ـ ٢٢

ابوذر عنوان الغضب لله

واذا راجعنا سيرة أبي ذر الغفاري الصحابي الكبير والشيعي المتعصب لله وللحق، فإننا نجده يوصي من معه من الناس قائلا: (ايها الناس اجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضبا لله عزوجل اذا عصي في الارض)[1].

وهكذا جاء في وصية الإمام علي(ع) له بالقول: (يا اباذر انك غضبت لله فارْجُ من غضبت له)[2].

اصحاب الحسين(ع)

نفس هذه الصفة نجدها واضحة في اصحاب الحسين(ع) الذي اضحوا سادات الشهداء، وقدوة خط الولاية وانصار الامامة.

ان مواقفهم في نصرة الحسين(ع) لم تكن مواقف جامدة في خلفياتها النفسية، بل كانت صدورهم تعتمر بروح الغضب المتفجر لله تعالى ونصرةً لأوليائه.

الغضب المرفوض والتعصب المذموم

وإلى جانب التربية الإسلامية على الغضب لله والتعصب للحق والحمية للدين في نفس الإنسان المؤمن، كانت التعاليم الاسلامية

---

[1]) ميزان الحكمة ـ ج ٦ ـ باب العصبية.
[2]) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٣٠.

تؤكد ان حالة الغضب، والعصبية، والحمية هي حالات نفسية خطرة، ويجب التغلب عليها، وكبح جماحها، وعدم السماح لها بالتأثير على المواقف العمليّة للإنسان، وقد سبق ان تحدثنا بشكل موجز عن ذلك لدى البحث عن (الاعتدال السياسي) فراجع.

الخشونة في ذات الله

في الحديث النبوي الشريف عن رسول الله(ص): (ايها الناس لا تشكوا علياً فأنه والله لأُخَيشِنٌ في ذات الله)[1]، هكذا رواه صاحب كتاب (بحار الانوار) ورويَ مثله في ابواب عديدة ويظهر من ذلك ان صفة (الخشونة في ذات الله) كانت واضحة في الامام علي(ع)، وكانت سببا لشكوى بعض الاصحاب منه.

السلوك الشخصي والاجتماعي

والخشونة قد تكون في السلوك الشخصي وهي تعني حينئذ الزهد في نعيم الدنيا والابتعاد عنه، الاكتفاء باقل ما يلزم من الطعام والشراب والملبس والمسكن وغير ذلك، وفي هذا الجانب نجد الامام علي(ع) يصف عيسى بن مريم(ع) قائلا: (يتوسد الحجر، ويلبس الخشن)[2].

---

[1]) سفينة البحار ـ ج ١ ـ حرف الخاء.
[2]) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٦٠.

ولكن ما يهمنا في مجال (أخلاقنا السياسية) هو معرفة (الخشونة) في مجال السلوك الاجتماعي والسياسي، ماذا تعني؟ وما هي حدودها؟

حينما نتعامل مع الآخرين، مع الاصدقاء، مع الاقرباء، مع العاملين في الحقل الديني والسياسي، مع العاملين في الحقل الانساني والاجتماعي، مع الخطوط السياسية الاخرى، ومع بعضنا في نفس الخط، مع كل هؤلاء كيف نعمل؟ وكيف نجسد ونمارس الخشونة في ذات الله؟

وليكن واضحا طبعا ان هذه الصفة تكون حسنة حينما تكون في ذات الله، وفي سبيل الله ،وليس انعكاسا لحالة مزاجية، او رغبة شخصية، او ثارا للانا، فلو كانت كذلك لتحولت الى سوء الخلق، وفظاظة في الطبع وهو ما نهت عنه الشريعة الاسلامية بشكل مؤكد.

ولهذا فان القرآن الكريم يؤكد هذا الشرط حينما يقول في وصف المؤمنين المجاهدين: **(يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ)**[1].

---

[1]) سورة المائدة : ٥٤

وحينما يقول في وصف المؤمنين المبلغين: (**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ**)[1].

وحينما يقول في مجال اجراء الحدود: (**وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**)[2].

لا يخافون لومة لائم:

ويبدو ان هذه الصفة (ألخشونة في ذات الله) تحتل موقعا مهما في السلوك الاجتماعي لدى العاملين المخلصين والصادقين في انتمائهم لله تعالى وطلب مرضاته.

هذا ما نلاحظه في وصايا رسول الله(ص) لخُلَّص اصحابه، وكذلك في وصايا امير المؤمنين(ع).

يقول ابوذر(رض): (أوصاني رسول الله(ص) ان لا أخاف في الله لومة لائم)[3].

---

[1]) سورة الاحزاب : ٣٩.
[2]) سورة النور: ٢.
[3]) بحار الانوار ـ ج ٧١ ـ باب ٨٩

وفي وصية امير المؤمنين (ع) لمحمد بن ابي بكر (ره): (اوصيك بسبع هن جوامع الاسلام: تخشى الله، ولا تخشى الناس في الله... الى ان قال: ولا تخف في الله لومة لائم)[1].

وجاء في وصية امير المؤمنين(ع): (لا تأخذكم في الله لومة لائم يكفكم من اراد بكم، وبغى عليكم)[2].

صفات متقابلة

يجب ان نعرف موقع (الخشونة في ذات الله) من سائر الصفات الاخرى في أخلاق العمل الاسلامي.

فهناك صفة (الرفق) و(المداراة) وهما من الصفات المطلوبة جدا في العمل الاسلامي كما سبق الحديث عنهما، ويقابلهما صفة (القسوة) و(سوء الخُلُق).

امّا صفة(الخشونة) في ذات الله فهي ليست في مقابل الرفق، والمداراة، وانما هي في مقابل صفة(المداهنة) على حساب الدين، وعلى حساب احكام الله، ومصالح الاسلام.

جاء في الحديث الشريف عن الامام الباقر(ع): (أوحى الله الى شعيب اني معذب من قومك مائة الف: اربعين الفا من شرارهم،

---

[1] ـ بحار الانوار ـ ج ٧١ ـ باب ٨٩

[2] ـ المصدر السابق.

وستين الفا من خيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار؟ فاوحى الله عزوجل اليه: داهنوا اهل المعاصي فلم يغضبوا لغضبي)[1].

مواضع الخشونة في ذات الله

في مجال ابلاغ الرسالة، ونصح الآخرين، وبيان الحقائق، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب ان نستخدم سياسية الرفق، ومداراة الناس.

أما الخشونة في ذات الله فهي في موضعين:

١. ان لا نؤثر رضى الناس على رضى الله تعالى، فنحاول ان نكسب الاصدقاء متجاوزين حدود الله واحكامه.

٢. ان لا نخاف من اجل الالتزام باحكام الله وحدوده غضب احد او ملامته او قطيعته.

ان سلوك الامام علي(ع) مع اخيه عقيل حينما طلب مزيدا من بيت المال أكثر من حقه هو نموذج لـ (الخشونة في سبيل الله) حينما قال(ع): (فأحميتُ له حديدة ثم أدنيتها من كنفِه ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل..)[2].

---

[1]) ميزان الحكمة ـ المداهنة.
[2]) انظر النص الكامل في نهج البلاغة ـ الخطبة ٢٢٤.

الموضوع الخامس عشر

الصبر والاستقامة

يحتل (الصبر) موقعا مهما في الاخــلاق الاســلامية، ولقــد جــاءت كلمة (الصبر) في القرآن الكــريم فــي (١٠٣) موضــعا، بينمــا جــاءت في اكثر من مئات الروايات.

والصبر قد يكون في القــضايا الشخــصية كالــصبر علــى المــرض، والفقر، وفقد الولد، وقد يكــون فــي قــضايا العمــل الاســلامي وهمــوم العمل وصــعوباته، وفــي هــذا المجــال ســيكون الــصبر جــزءا مــن (اخلاقنا السياسية) وهو ما نحن بصدد الحديث عنه.

الصبر على العمل الاسلامي

ان مراجعة دقيقة للآيات القرآنية الواردة فــي الــصبر توضــح لنــا ان معظم ما جاء في الحديث عن الصبر انما هــو الــصبر علــى العمــل الاسلامي، وتحمــل مــشاقة، والثبــات فــي مقابــل انــواع الاذى الــذي يتعرض له العاملون.

يمكن ان نلاحظ ذلك في قوله تعالى: **[رَبَّنَــا أَفْــرِغْ عَلَيْنَــا صَــبْراً وَثَبِّــتْ أَقْــدَامَنَا وَانــصُرْنَا عَلَــى الْقَــوْمِ الْكَــافِرِينَ]**[١]، وقولــه تعــالى: **[وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْــدُونَ بِأَمْرِنَــا لَمَّــا صَــبَرُوا]**[٢]، وقولــه تعــالى:

---

[١]) سورة البقرة: ٢٥.
[٢]) سورة السجدة : ٢٤.

[فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ] [1]، وقوله تعالى: [وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] [2].

الاستقامة في العمل

كما ان مفهوم الاستقامة الذي جاء التأكيد عليه في القرآن الكريم هو مفهوم يخص مجالات العمل الاسلامي، والثبات على العقيدة والمبدأ في الطريق المليء بالصعاب.

يقول الله تعالى: [فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ] [3]، ويقول تعالى: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ] [4].

وهذا هو ما يشير اليه الامام علي(ع) بالقول: (اعلموا ان الله تبارك وتعالى يبغض من خلقه المتلون، فلا تزولوا عن الحق، وولاية اهل الحق، فانه من استبدل بنا هلك) [5]، وهكذا يؤكد ذلك(ع) في خطاب آخر له وهو يحث قومه على الصبر والثبات فيقول: (العمل العمل، ثم النهاية النهاية، والاستقامة الاستقامة..)، قال الله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

---

[1]) سورة طه: ١٣٠.
[2]) سورة لقمان: ١٧.
[3]) سورة هود: ١١٢.
[4]) سورة الشورى: ١٥.
[5]) الامالي للشيخ المفيد ، ص ١٣٧

الْمَلَائِكَةُ]، وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج امره[1].

لا نتيجة بدون صبر

والاخلاق الاسلامية تؤكد انه لا نتيجة بدون صبر، ولا نجاح بدون استقامة، ولا نصر بدون ثبات، ومن الخطأ توقع تحقيق النتائج دون تحمل الوان الاذى، وانواع المشاكل.

قال رسول الله(ص): (ان النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وان مع العسر يسرا).

الصبر والتقوى

قال الله تعالى: **[وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً]**[2]، حيث تؤكد هذه الاية الكريمة وبشكل واضح ان كيد الاعداء والخصوم لا يضر شريطة اجتماع الصبر والتقوى معا.

وفي ضوء ذلك يجب ان يكون واضحا ان الانسان العامل في سبيل الله، يجب ان يكون قدوة في التقوى، كما هو قدوة في الصبر، وتحمل الاذى، والثبات دونما أي تراجع او كسل او ضعف.

---

[1]) نهج البلاغة ، ج ٢ ، ص ٩٣

[2]) سورة آل عمران : ١٢٠

قال رسول الله(ص): (علامة الصابر في ثلاث، اولها ان لا يكسل، والثانية ان لا يضجر، والثالثة ان لا يشكون من ربه عزوجل)[1].

الصبر على مشكلات عمل

مواضع عديدة تستحق الصبر في طريق العمل بحسب طبيعة المشكلات التي يواجهها العمل، وهي مشاكل يواجهها كل العاملين في سبيل الله تعالى، كما واجهها الانبياء والرسل والائمة الاطهار (ع).

وقد يكون مفيدا هنا ـ وبشكل موجز ـ الاشارة الى عدد من تلك المواضع التي جاء استعراضها في القرآن الكريم والروايات الشريفة.

الصبر على الاتهامات

قال الله تعالى مخاطبا نبيه (ص): **[وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً]**[2].

ولقد كان النبي(ص) يألم لما يسمع من اكاذيبهم واتهاماتهم كما قال تعالى: **[قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ]**[1] ولكن الله تعالى

---

[1]) كتاب (الخصال) للشيخ الصدوق ـ باب الثلاثة

[2]) سورة طه: ١٣٠

اوحى الى نبيه بالتزام الصبر قائلا: **[فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ]** [2].

الصبر على التكذيب

التكذيب برسالات الانبياء، او بدعوة الصالحين، ونصح المؤمنين هو من المعاناة التي يلقاها العاملون في سبيل الله، ولقد جاءت الايات القرآنية متكررة وكثيرة جدا في الدعوة لالتزام الصبر امام هذه المشكلة.

قال تعالى: **[وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ]** [3].

الصبر على قلة العدد

قال تعالى: **[إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ]** [4]، وقال تعالى: **[كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ]** [5].

الصبر على تأخر النتائج

قال تعالى: **(فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً)** [1]

---

[1]) سورة الانعام : ٣٣.
[2]) سورة يس: ٧٦.
[3]) سورة الانعام : ٣٤.
[4]) سورة الانفال : ٦٥.
[5]) سورة البقرة: ٢٤٩.

الصبر على الأذى والشدائد

قال تعالى: **[وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ]**[2]، وقال تعالى: **[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ]**[3]، وقال تعالى: **[وَلَنَصْبِرَنّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ]**[4].

الصبر أمام الاعداء وارهابهم

قال تعالى: **[قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّه]**[5] وقال تعالى على لسان المؤمنين: **[رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ]**[6].

الصبر على النتائج المجهولة

جاء في الحديث الشريف عن الامام الصادق (ع) (نحن صُبَّر وشيعتنا أصبَّر منا) قلت: جعلت فداك كيف صار شيعتكم اصبر منكم؟ قال: (لانّا نصبر على ما نَعلم، وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون)[7].

---

[1]) سورة المعارج: ٥.
[2]) سورة البقرة: ١٧٧.
[3]) سورة محمد : ٣١.
[4]) سورة ابراهيم: ١٢
[5]) سورة الاعراف : ١٢٨.
[6]) سورة البقرة: ٢٥٠.
[7]) ميزان الحكمة ـ صفات الشيعة.

الموضوع
السادس عشر

مجانبة أهل الباطل

كيف نتعامل مع اصحاب البدع، واهل الباطل؟

هذه المسألة تدخل في مجال (اخلاقنا السياسية) لانها ذات بعد سياسي قبل ان تكون ذات بعد فكري.

وقد سجل الائمة الاطهار(ع) لشيعتهم واتباعهم موقفا واضحا في هذه المسألة لاهمية ذلك.

ان ما تقصده النصوص التالية بعنوان (اصحاب البدع) و(اهل الباطل) هو عبارة عن الجماعات المنحرفة فكريا وسياسيا عن اهل البيت(ع) خصوصا، او عن الفكر الاسلامي الصحيح عموما.

ومن الطبيعي ان المذاهب المنحرفة والجماعات الضالة موجودة على طول التاريخ ومن هنا كان علينا ان نشخص الموقف الصحيح في (اخلاقنا السياسية) لدى التعامل مع هؤلاء.

أهل المعاصي وأهل البدع

لابد ان نضع تمييزا بين من هم (الفسّاق) و(أهل المعاصي) وبين من هم (أصحاب البدع) و(اهل الباطل).

فالعصاة، والفاسقون، واهل المعصية قد يكونوا جزءا من داخل المجموعة الصالحة نفسها، بخلاف المنحرفين من اتباع الافكار والاباطيل والمذاهب الضالة.

ولاجل ذلك وجدنا فرقا فيما رسمته الشريعة الاسلامية واهل البيت(ع) خاصة للتعامل مع هذين الصنفين.

التعامل مع اهل المعاصي

اهل المعاصي من ابناء الجماعة الصالحة والمذهب الصحيح حينما لا يشكلون موقفا فكريا منحرفا او مجموعة سياسية منحرفة كيف نتعامل معهم؟

ربما نستطيع ان نلخص الموقف الصحيح مع هؤلاء في ضوء اخلاق العمل الاسلامي بعبارة (الانفتاح والاستيعاب والجذب) بما تعنيه هذه الكلمات من عدم ابعادهم عن ساحة العمل، ومحاولة جذبهم واحتوائهم وهدايتهم خطوة فخطوة.

وفي ذات الوقت وعلى مستوى العلاقات الشخصية لا يصح الوثوق المطلق اليهم، واتخاذهم اخوانا وأخلاّء.

الروايات عديدة في النهي عن مؤاخاتهم كما عن امير المؤمنين(ع): (لا ينبغي للمرء المسلم ان يؤاخي الفاجر..)[1].

---

[1]) اصول الكافي ـ ج ٢ ـ كتاب العشرة ـ باب من تكره مجالسته.

كما ان الروايات عديدة ايضا في ضرورة العطف عليهم، وعدم قطع الصلة معهم، بل والعمل على جذبهم من خلال اكرامهم وابداء المحبة لهم.

وربما يناسب هنا ان نقرأ القصة التي رواها الحسن القمي بشأن وصية الامام الحسن العسكري(ع) في التعامل مع العصاة من شيعتهم والمنتسبين اليهم حيث قال في نهاية القصة: (لابد من اكرامهم واحترامهم على كل حال، وان لا تحقرهم ولا تستهين بهم)[1].

ومثل ذلك الرواية عن الامام الصادق(ع): (ان الايمان عشر درجات بمنزلة السلَّم يصعد منه مرقاةً بعد مرقاة فلا يقول صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتى ينتهي الى العاشر، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، واذا رأيت من هو اسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فان من كسر مؤمنا فعليه جبره).
وهنا روايات عديدة في هذا الشأن يمكن مراجعتها في اصول الكافي ــ ج ٢ ــ باب درجات الايمان.

---

[1]) بحار الانوار ـ ج ٥٠ ـ ص ٣٢٣

وبطبيعة الحال فان عملية الامر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر يجب ان تجري مع كل ذلك ولا يكون التـودد لهـم واكـرامهم الا بهـدف هدايتهم وتصحيح مواقفهم.

كما ان الابتعاد عن مجالس المعـصية، والقيـام عنهـا هـو احـد الواجبات التي لا يجوز التسامح فيها.

عن الامام الـصادق(ع): (لا ينبغـي للمـؤمن ان يجلـس مجلـسا يُعصى الله فيه ولا يَقدر على تغييره).

التعامل مع أهل البدع

المنحرفون فكريا وسياسيا كيف نتعامل معهم؟

ان كانت سياسة (الانفتاح والاستيعاب والجـذب) هـي التـي تمثـل اخلاقنا في العمل الاسلامي مـع اهـل المعاصـي مـن المـؤمنين، فـان سياسة (المقاطعة) هي التي تمثل اخلاقنـا فـي العمـل مـع أهـل البـدع ومناهج الضلال.

الروايات عن اهل البيت(ع) تنهى عـن مؤاخـاة الفاسـق واتخـاذه خلاّ وصديقا، لكنها مع أهل البدع تنهى عن مطلق المصاحبة.

يقـــول الامـــام الـــصادق(ع): (لا تـــصحبوا اهـــل البـــدع، ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم)[1].

في الرواية عن الامام ابـــي الحـــسن وهـــو (الرضـــا) او (الهـــادي) (ع) عن الجعفري قال: (سمعت ابا الحسن يقـــول: مـــا لـــي رأيتـــك عنـــد عبدالرحمن بن يعقوب؟

فقلت: انه خالي.

فقال: انه يقول في الله قـــولاً عظيمـــا، يـــصف ولا يوصـــف، فأمّـــا جلست معه وتركتنا وامّا جلستَ معنا وتركته؟

فقلت: هو يقول ما يشاء، أي شـــيء علـــيَّ منـــه اذا لـــم أقـــل مـــا يقول؟

فقال ابوالحـــسن(ع): امـــا تخـــاف ان تنـــزل بـــه نقمـــة فتـــصيبكم جميعا)[2].

ولابد ان ننتبه الى ان الموقف قد يختلـــف حـــسب الاولويـــات التـــي تفرضها طبيعة العمل والمواجهـــة ومقتـــضيات الوحـــدة الاســـلامية امـــام اعداء الدين والامة.

---

[1]) بحار الانوار ـ ج ٥٠ ـ ص ٣٢٣
[2]) بحار الانوار ـ ج ٥٠ ـ ص ٣٢٣

الموضوع
السابع عشر

الحضور في الساحة

الحضور في الساحة بمعنى المشاركة في الموقف من الاحداث الدينية والسياسية بما تفرضه قضية نصرة الحق والدين، والوقوف الى صف المؤمنين، والدفاع عن قضاياهم وهمومهم، هذا الحضور هو من الاصول المهمة في (اخلاقنا السياسية).

ان عشرات النصوص الشريفة سواءا من القرآن او السنة تؤكد مسألة (الحضور في الساحة) واعتبار ذلك من صفات المؤمنين، بنحو يكون علامة المؤمن.

ان نصوص (الامر بالمعروف) و(النهي عن المنكر) و(الدعوة الى الحق) و(حمل هموم المسلمين) و(التزاور والاجتماع والتحادث بين المؤمنين) و(المخالطة مع المجتمع) و(الاستباق الى الخيرات) و(اخوة المؤمنين) و(حق المؤمن على المؤمن) وغيرها في العديد من ابواب الحديث الشريف والايات الكريمة كلها تؤكد قضية (الحضور في الساحة) بما تعنيه من الاهتمام بشؤون الاسلام والمسلمين.

ونحن هنا لا نستطيع استعراض تلك النصوص وانما اكتفينا بالاشارة الى الابواب والعناوين التي جاءت تحتها في القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف.

إحياء أمرنا

وقد يحسن ان نذكر هنا بعض الروايات على سبيل المثال:

عن الامام امير المؤمنين(ع): (شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون في احياء امرنا..)[1].

وعنه(ع) ايضا في صفة المؤمن: (ناصر للدين، محامٍ عن المؤمنين، كهف للمسلمين، رفيق بالخلق، ساع في الارض، عون للضعيف، غوث للملهوف، مصادق لاهل الصدق، مؤازر لاهل الحق، عون للقريب، اب لليتيم..)[2].

وعن الامام الصادق(ع) يقول لاصحابه: (اتقوا الله وكونوا إخوة بررة، متحابين في الله، متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا امرنا واحيوه)[3].

والحديث المعروف عن رسول الله(ص): (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)[4].

---

[1]) اصول الكافي ـ المؤمن وعلامالته.
[2]) المصدر السابق.
[3]) المصدر السابق.
[4]) المصدر السابق.

التوفيق بين النصوص:

ان مسألة (الحضور في الساحة) تقابل الغياب عن الاحداث، والانزواء بعيدا عن حركة المجتمع الاسلامي والانشغال بالهموم الشخصية.

وصفة (الحضور في الساحة) اضحت من بديهيات الاخلاق الاسلامية، وميزة واضحة في المجتمع الاسلامي.

الا ان هنا مجموعة نصوص أخرى قد تعطي موقفاً آخر من قبيل:

الحديث عن رسول الله(ص): (طوبى لعبد نومَه عَرِفَهُ الله ولم يعرِفه الناس).

وعن الامام الصادق(ع): (كفّوا السنتكم والزموا بيوتكم)[1].

إلا أن مراجعة دقيقة في هذه النصوص تفيدنا معنى آخر وهو الدعوة للتقية في مواضع التقية، واجتناب الفتن والخصومات الذاتية، والابتعاد عن المجادلة لاظهار الغلبة، أو الاصرار الى دعوة الناس للحق دون جدوى.

---

[1]) اصول الكافي ـ المؤمن وعلاماته.

كما ان بعضها بــصدد التزهيــد فـــي الـــدنيا وعناوينهـــا وجاههـــا حينما تتعرض الانسان ولا تدع له مجالا يتحـــرك فيـــه كمـــا كـــان لعـــدد من الائمة الاطهار (ع) حيث اقصوا عـــن الحكـــم، واضـــطروا للجلـــوس في دارهم.

فهذه الروايات ليست بـــصدد الـــدعوة للانـــسحاب عـــن المجتمـــع، وترك العمل لأعلاء كلمة الحق، وانما هي بـــصدد مقاصـــد أخـــرى مثـــل التقيـــة، أو بـــصدد تربيـــة المـــؤمنين علـــى تحمـــل العزلـــة الـــسياسية والاجتماعية المفروضة عليهم أحياناً.

الموضوع الثامن عشر

اجتناب الجهر بالسوء

لا يختلف اثنان من المسلمين في حرمة الكذب، والافتراء، والبهتان، ولا في حرمة هتك المؤمن، وكشف عيوبه، ولا في حرمة السباب والشتم وبذاءة القول.

لكن ما نحن بصدد الحديث عنه هو ما يتعلق بهذا الموضوع في مجال (اخلاقنا السياسية) وتعاملنا مع الاخرين من المؤمنين حينما نختلف معهم في الرأي، فيما هو الحق، او حينما نتعرض الى ظلم منهم او اشتباه صادر عنهم، فقد يجيز البعض لنفسه كل ذلك بحجة الدفاع عن النفس، واسترداد الحق، وكشف الظلم، وتوعية الناس، وتزييف الباطل.

حرمة المؤمن

لكن اخلاقنا الاسلامية لا تسمح لنا بكل ذلك الاّ في حدود خاصة كما سيأتي.

الأخلاق الاسلامية تعتقد ان المؤمن له (حُرمة) و(اعتبار) و(شأن) لا يجوز تجاوزه وهتكه.

جاء في الحديث عن الامام الصادق(ع): (من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من اعين الناس اخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان)[1].

وجاء في الحديث الشريف عن رسول الله(ص): (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تذمّوا المسلمين ولا تتبّعوا عوراتهم فانه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله تعالى عورته يفضحه ولو في بيته).

وقد عقد الرواة المحدثون ابوابا عديدة في هذا الموضوع راجعها تحت عنوان(ايذاء المسلم) و(طلب عثرات المؤمنين) و(الغيبة) و(حرمة الكذب والبهتان) و(الرواية على المؤمن) و(حرمة السباب) و(التهمة وسوء الظن) وغير ذلك.

اشاعة الفاحشة:

وقد اعتبرت النصوص الشريفة ان كل تجاوز على حرمة المؤمن وهتك اعتباره، وتضعيف شخصيته عند الناس ــ حتى اذا كان المطلب المذكور حقا وصدقا ــ هو من باب اشاعة الفاحشة.

[1]) اصول الكافي: ج ٢.

قال امامنا الصادق(ع): (من قال في مؤمن ما رأته عيناه، وسمعته اذناه فهو من الذين قال الله عزوجل: (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم).

محاربة أهل البدع

وربما يتذرع البعض وهو يمارس الطعن بالمؤمنين بالحديث الوارد عن رسول الله(ص): (اذا رأيتم اهل الرِيب والبِدَع من بعدي فاظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة بهم، وباهتوهم لكي لا يطمعوا في الفساد في الاسلام، ويحذرهم الناس، ولا يتعلمون من بدعهم، يكتب الله بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة)[1].

لكن هذا الحديث كما هو واضح يتناول (أهل البدع) وهم اصحاب الافكار الضالة، والعقائد المنحرفة المخالفة للدين والمذهب، ولا يصح تطبيقه على المؤمنين الذين قد نختلف معهم في الرأي والموقف.

---

[1]) اصول الكافي : مجالسة اهل المعاصي.

الاّ مَن ظُلِم

وقد يستشهد البعض لتبرير هتك حرمة المؤمنين والتجاهر بالسوء عليهم بقوله تعالى: (لا يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ)[1].

لكن المفسرين يجمعون على ان المظلوم إنما يحق له أن يذكر ظُلامته ويجهر بما اصابه في مجال استرداد حقه، وفيما يجوز الانتصار به في الدين، لا من خلال هتكه أمام الملأ، واسقاط حرمته، واحتقاره واهانته امام الناس، بهدف الوقيعة به والانتقام منه.

المفسرون يذكرون في تفسير هذه الاية قول الامام الباقر(ع): (لا يحب لله الشتم في الانتصار الاّ من ظُلم فلا بأس له أن ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار في الدين)[2].

كيف نتعامل مع الشائعات

لعل من أخطر ما يواجهه العمل السياسي هو الشائعات.

الشائعات التي تستهدف الأجهاز على العمل نفسه من خلال زعزعة الثقة به وبث الشائعات حول فشله واخفاقه.

---

[1]) سورة النساء: ١٤٧

[2]) راجع تفسير الميزان ـ تفسير الآية السابقة.

والشائعات في العادة تكون من صنع العدو، لكنها غير قادرة على ان تحقق نجاحا ما لم تجد لها أرضية قبول، وآذاناً صاغية، وافئدة ضعيفة وهو ما يمكن تسميته بـ (قابلية الشائعات) ومن هنا فقد عمد الاسلام الى تكوين مناعة ضد الشائعات وانتشارها في جسم الامة المسلمة.

النهي عن الاستماع للشائعة

كانت اول معالجة قدمها الاسلام في مواجهة الشائعة هي وضع الجدر والحواجز امام تسرب الشائعة وذلك من خلال النهي عن الاستماع للشائعة واعتبار ذلك حالة مرضية نفاقية لا يصح ان يعيشها المؤمن.

قال تعالى في وصف اليهود: **[وَمِنَ الَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ.... سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ]**[1].

وقال تعالى أيضاً في وصف المنافقين ومرضى القلوب: **[لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ]**[2].

---

[1]) سورة المائدة : ٤١ ، ٤٢.
[2]) سورة التوبة: ٤٧

وفي كلمـــة (ســمّاعون) دلالـــة علـــى معنـــى أكثـــر مـــن مجـــرد الاستماع وهو حالة تلقي الشائعة واســـتقبالها والابتهـــاج لهـــا ثـــم التـــأثر بها والتفاعل معها.

كما ان القرآن أَمَرَ بالاعراض عـــن الحـــديث بالـــشائعات باعتبـــار ذلك لغواً وقد قال تعالى في وصـــف الجماعـــة المؤمنـــة: **[وَإِذَا سَــمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ]** [1].

الدعوة للثبات أمام الشائعة

ثم يبدأ الاسلام خطوة ثانيـــة فـــي مواجهـــة الـــشائعة وذلـــك عبـــر تكوين المناعة الذاتية ضدَّها، حيث جـــاء النهـــي عـــن التـــأثر بهـــا، بـــل جاء الأمر بضرورة الثبات أمامهـــا والاســـراع الـــى تكـــذيبها ورفـــضها دونما حاجة الى تحقيق.

قال تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُـصْبَةٌ مِّــنكُمْ لَـــا تَحْـسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَـــسَبَ مِـــنَ الْـــإِثْمِ وَالَّـــذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَـــا إِذْ سَــمِعْتُمُوهُ ظَـــنَّ الْمُؤْمِنُـــونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ]** [2].

---

[1]) سورة القصص: ٥٥.
[2]) سورة النور: ١١ ، ١٢

النهي عن تناقل الشائعة

ويتقدم الاسلام خطوة ثالثة بهدف محاصرة الشائعة والقضاء عليها في مهدها وذلك من خلال تحريم نقلها وتعاطيها، واعتبار ذلك مشاركة في صنع الشائعة ومساهمة في تفعيلها.

قال تعالى: **[وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]**[1].

وجاء في الحديث الشريف عن رسول الله(ص): (من اذاع فاحشة كان كمبتديها)[2].

ولا فرق في حرمة نقل الشائعة بين ان يكون بهدف الاساءة والايذاء او بصيغة السؤال والاستفسار او حتى بصيغة التألم والاستنكار، والحديث هنا طبعا عن الشائعات التي تكون هتكا لمؤمن، او تضعيفا لساحة المؤمنين وعملهم

---

[1]) سورة النور: ١٤ ـ ١٧.

[2]) اصول الكافي : ج ٢ ـ باب التعيير.

ختاما

انتهى ما استطعنا تقديمه مـــوجزا عـــن (اخلاقنـــا الـــسياسية) ســـائلين الله تعالى ان يـــسامحنا بعطفـــه، ويغفـــر لنـــا هفـــوات اللـــسان والعمـــل، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

الفهرس